عبد الرحمن محمد عبد الماجد ود الكبيدة

الإعلام عند الصوفية

القصاد

معارض

معارض

احتفال حولية

عبد الرحمن محمد عبد الماجد(ودالكبيدة)

الإعلام عند الصـــــوفية

الطبعة الأولى
رمضان 1428هـ أكتوبر 2007م
مطبعة حصاد – الخرطوم

فهرسة المكتبة الوطنية – السودان

302.24 **عبد الرحمن محمد عبد الماجد (ود الكبيدة)**

ع ر. إ

الإعلام عند الصوفية / عبد الرحمن محمد عبد الماجد (ود الكبيدة). – ط 1. – الخرطوم: مطبعة حصاد، 2007

142 ص؛ 20 سم

ISBN 978-99942-858-7-7 ردمك:

1. الإعلام الإسلامى.

2. الإسلام – دعوة.

أ. العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين﴾ – فصلت: 33.

صدق الله العظيم.

و قال رسول الله ﷺ:

"ليُبَلِّغ الشاهدُ الغائبَ. فإنه رُبَّ مُبَلَّغٍ يُبَلَّغه أوعى مِنْ سامعٍ"

أخرجه ابن ماجة.

الإهداء

إلى أرباب التصوف الذين صفت حالهم،
فعذب مقالهم، وشمخت طرائق إعلامهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــة

الحمد لله الملك العلام والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى علمه ربه بلا قرطاس ولا أقلام، وأرسله بشيراً ونذيراً لكافة الأنام ليرسى بدينه قواعد الهدى بصدق الحديث والإعلام. ورضى الله عن آله وصحابته البررة الأعلام، واشمل اللهم برضاك رجال التصوف الذين رفعوا لدينك الرايات والأعلام. وبعد.

يعتبر الإعلام من أهم وأخطر الأدوات التى تشكل عقل الفرد والرأى العام لدى المجتمع ، وتسهم فى دفع عجلة التنمية الاجتماعية والثقافية بما يحقق ترابط المجتمع أفراداً وأمماً. إن الإعلام يشبع حاجات اجتماعية فى غاية الأهمية مثل نقل المعلومات، المعارف، الأخبار، الثقافة، الآداب والمواد الترفيهية. فالإعلام يحقق الاتصال البشرى فى كل نواحى الحياة البشرية.

إن الإعلام حاجة من أولويات الحاجات الإنسانية وأقدمها، وُلِدت بميلاد البشر على سطح الأرض. "وقد كان الإنسان فى المناطق النائية كما كان العربى فى الصحراء – على سبيل المثال – يعرف بفطرته وتجاربه الضيقة مواقع الكلأ ومنابع المياه ومطالع النجوم التى يهتدى بها السائرون فى البر والبحر، كما يعرف بطريقة بدائية أخبار القبائل المجاورة ..... وفى العصر الفرعونى لم تشيد الأهرامات أو تقام المعابد الضخمة للاحتفاظ ببحث الحكام أو أداء العبادات والمناسك فحسب، ولكن ليسطروا على جدرانها الانتصارات وسير المعارك" [1]

"وقد وجد علماء الآثار فى العراق نشرات ترجع إلى سنة 1800 ق.م، ترشد

الزرّاع إلى كيفية بذر محاصيلهم وريها وعلاجها من الآفات، وتشبه هذه النشرات – إلى حد كبير – النشرات التى توجهها وزارات الزراعة إلى المزارعين فى الدول المتقدمة" (2).

واليوم أصبح لوسائل الإعلام قوة تأثير كبيرة فى هذا العصر، وأصبح الإنسان فى كل يوم وفى كل مكان، سواء فى العمل أو فى المنزل أو الشارع، يعتمد على هذه الوسائل الإعلامية كمصدر رئيس للحصول على المعلومات.

ولما كان الإعلام والاتصال ذا أهمية بالغة فى حياة الإنسان فقد عنى الإسلام به غاية العناية، وجعل كلمة الحق والدعوة إلى الخير كشجرة ثابتة، أصلها فى الأرض وفرعها فى السماء. أى قاعدتها وأساسها حياة الناس على وجه الأرض وهدفها السمو الروحى والاتصال بالخالق العلاّم موحى قواعد الإعلام.

ولهذا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وتبليغ الكلمة والتوجيه الربانى من أهم الفرائض التى تندرج تحت مظلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

لقد كان الرسول ﷺ بما أنزل إليه من ذكر وبلاغ للناس إمام الدعاة والإعلاميين. ثم حمل مشعل الدعوة من بعده صحابته وتابِعوهم ومَنْ اقتفى أثرهم من أئمة الهدى ودعاة الإسلام. فكانت أمة المسلمين هى خير أمة إعلامية داعية إلى الخير ، ناهية عن الشر، كما وصفها المولى عز وجل: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ – آل عمران: 110.

وتفرق المسلمون إلى طوائف، وذهبوا مذاهب شتى حتى غدوا منقسمين على أنفسهم إلى ملل ونحل وفِرَق تقترب من وتبتعد عن معين الدين الإسلامى الصافى بحسب اعتقادات ومبادئ كل فرقة. والصوفية – وهم إحدى هذه الفرق[3] – ظلوا يدعون لمنهجهم الإسلامى ويزودون عنه بشتى وسائل الإعلام حتى انفردوا فى هذا المجال بوسائل كانت سمةً لهم، فلم تشاركهم فيها فرقة أخرى. فمن تلك الوسائل نذكر الملابس والأذكار والشعارات وغيرها مما سيرد ذكره مفصلاً فى ثنايا هذا الكتاب.

وإننى فى هذا الكتاب أبدأ بالتعرض للإعلام عند المسلمين بوجه عام، ثم أتناول الإعلام الصوفى بشتى أساليبه. وأختم بإيراد بعض الحلول والتوصيات.

وقد انتهجت فى هذه الدراسة خطة قوامها الوصف والتحليل للمواقف والمعانى والأساليب التليدة والطارفة التى استخدمها التصوف فى الإعلام. كما أن طريقة البحث تضمنت الخطة التاريخية التى تعتمد على تتبع أقوال الصوفية الذين سلفوا، وما أسسوا من دواليب إعلامية ورباطات إرشادية؛ وتعتمد الخطة أيضاً على تتبع التطور التاريخى الذى لحق بالتصوف فى استخدامه لوسائل الاعلام المعاصرة.

ود الكبيدة.

هوامش المقدمة

1- عبد الحليم (دكتور محى الدين): الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية، باب الإعلام قديم قدم الإنسان، ص 11، 12.

2- نفس المصدر السابق، ص 12.

3- البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله): الفَرْق بين الفِرَق، الباب الخامس، الفصل الأول فى بيان أصناف أهل السنة والجماعة، ص 302.

الباب الأول: الإعلام فى الإسلام

الفصل الأول: تعريف الإعلام

الفصل الثانى: مبادئ الإعلام فى الإسلام

الفصل الثالث: أدوات الإعلام عند المسلمين

الفصل الأول: تعريف الإعلام

1- مفهوم الإعلام:

(أ) **الإعلام فى اللغة:** مصدر أعلم، وأعلمت كأسلمت، ويقال استعلم لى خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه، واستعلمنى الخبر فأعلمته إياه، وأعلم الفارس أى جعل لنفسه علامة الشجعان، وأعلم الفرس أى علق عليه صوفاً أحمر أو أبيض فى الحرب، وأعلم نفسه ووسمها بسيما الحرب[1].

(ب) **واصطلاحاً:** "هو جانب من عملية الاتصال التى يتفاعل بمقتضاها متلقى ومرسل الرسالة فى مضامين اجتماعية معينة أو معنى مجرد أو واقع معين. فالاتصال يقوم على المشاركة فى المعلومات والصور الذهنية والآراء"[2].

2- وظائف الإعلام: لقد حددت الدكتورة جيهان رشتى وظائف الإعلام فيما يلى[3]:

1- أهداف المرسل: وهى: أ- الإعلام. ب- التعليم.
د- الإقناع. ج- الترفيه.

2- أهداف المتلقى، وهى: أ- فهم ما يحيط به من ظواهر وأحداث.
ب- تعلم مهارات جديدة.
ج- الإستمتاع والإسترخاء (للترفيه).

د- الحصول على معلومات جديدة تساعد على اتخاذ القرارات والتصرف بشكل مقبول اجتماعياً.

مما ذكر آنفاً بخصوص تعريف الإعلام ووظائفه نفهم أن يقوم الإعلامى أو صاحب الفكرة بإيصالها إلى الناس إما عن طريق الكلمة سواء كانت مسموعة أو مقروءة، وإما عن طريق الرمز والإشارة إلى هذه الفكرة.

غير أن الإسلام يضيف الوسيلة العملية للبث الإعلامى، أى ربما صبت الفكرة فى قالب عملى لزوم الاقتداء بالفاعل. فالوسيلة هنا إما كلمة وإما عمل. كما أن الإسلام قد تفرد بوسيلة أخرى هى الإقرار بعمل الآخرين والسكوت عليه، أى بلغة اليوم هى تثمين عمل الآخرين. ولهذا نجد أن السنة النبوية الشريفة مقسمة إلى ثلاثة أنماط من حيث وسيلة التبليغ، تلك الأنماط هى السنة القولية والسنة الفعلية والسنة التقريرية، فالسنة القولية هى أقوال الرسول ﷺ لبيان الدين؛ والفعلية هى أفعاله ﷺ وتفاسيره العملية للدين؛ والتقريرية هى ما فعله الصحابى وعلم به الرسول ﷺ وأقرّ الصحابى عليه. وهذه السنة التقريرية هى التى تشكل البذرة الطيبة لحرية الكلمة فى إطار شرع الله تعالى، فبها يستطيع المسلم أن يدلى بما فى جعبته من أفكار نيرة وسنة حسنة، ينال أجرها وأجر من عمل بها إقتداءً بصاحبها؛ وذلك يفتح باب الاجتهاد والابتكار الذى هو من أهم وآكد ركائز التقدم والنمو فى الأمم.

إذاً فالإعلام يقوم على ثلاث دعائم: هى الإعلامى (المرْسِل)، والمادة الإعلامية (المعلومة أو المرْسَلَة) ثم المتلقى (المرْسَل إليه – الجمهور).

إن أعمدة الإعلام المذكورة أعلاه تتفق مع نظرية المعرفة الإسلامية، إذ أن أطراف المعرفة الأساسية فى الإسلام تقوم على ثلاثة محاور: محور المبلِّغ أو المرشِد أو الإعلامى أو الداعى (وهو هنا الرسول ﷺ)، ثم محور متلقى الدعوة من الداعى (وهو مَنْ أسلم أو مَنْ يُرجى إسلامه)، وبينهما مادة الدعوة (وهى القرءان الكريم والسنة النبوية). (وهذه الثلاثية التربوية التعليمية جاء الإيحاء بها حينما غط سيدنا جبريل عليه السلام النبى سيدنا محمد ﷺ ثلاث غطات وهو يحثه على القراءة، حتى قال له فى المرة الثالثة والأخيرة: ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ - العلق: 1)[4].

وثمة أمر هام فى العملية الإعلامية وهو الاستجابة. إن التأثير فى سلوك المستقبِل هو هدف عملية الإعلام. فالرسالة الإعلامية التى لا تحظى باستجابة المستقبِل وتغيير سلوكه لا تعتبر اتصالاً، فرجع الصدى أو (التغذية الراجعة **feed-back**) التى تفيد تأثير الرسالة على المتلقى هو قياس نجاح العملية الإعلامية. وقد نبه الإسلام إلى هذه المسألة فى ربطه بين الإيمان النظرى والاستجابة العملية، قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾ - الكهف: 107، وقال رسول الله ﷺ: "الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان"[5]. فالتغذية الراجعة التى تؤكد دخول الإيمان فى القلب هى ترجمة هذا الإيمان إلى عمل صالح.

إن النظرية الإعلامية فى الإسلام لا تختلف كثيراً عما حدده رجال الإعلام الذين يذكرون لعملية الاتصال ستة عناصر، هى: "المصدر، الرسالة، الوسيلة الإعلامية، المستقبِل، التأثيرات، ثم رد الفعل"[6].

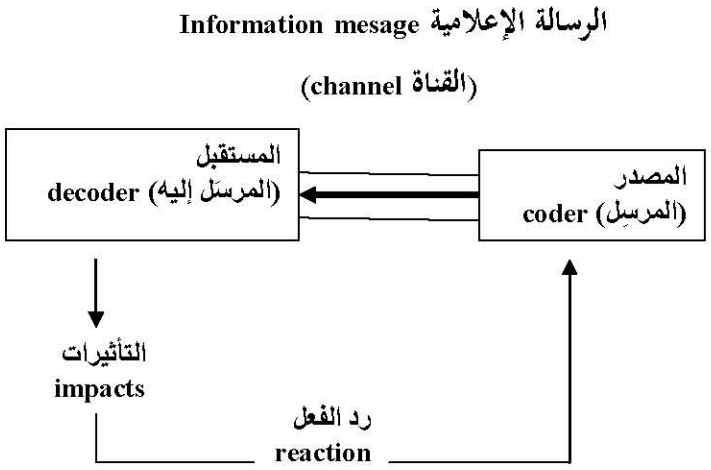

شكل يبين العناصر الرئيسة فى عملية الاتصال

فالإسلام بشموليته كرسالة عالمية لكافة الناس يؤطر الإعلام فى إطار يشمل كافة وحدات المعرفة وأساليبها وأدواتها، كما يرسم الهيكل الذى يضع فيه محتوى أفكاره وتعاليمه. ولهذا نجد للإعلام فى الإسلام مبادئ جلية وأسس محددة.

هوامش الفصل الأول: (تعريف الإعلام)

1- سليمان (محمود كرم): التخطيط الإعلامى فى ضوء الإسلام، مفهوم الإعلام، ص 18.
وكذلك الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، باب الميم، فصل العين، ص 1023.

2- سليمان (محمود كرم): التخطيط الإعلامى فى ضوء الإسلام، مفهوم الإعلام، ص 18.

3- رشتى (دكتورة جيهان أحمد): الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص 63.

4- ود الكبيدة (عبد الرحمن محمد عبد الماجد): رحيق اللارنج فى شرح البرزنجى، ص 36.

5- ابن ماجة (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى): سنن ابن ماجة، ج 1، المقدمة، 9 باب فى الإيمان، ص 26، حديث رقم 65.

6- طلعت (دكتورة شاهيناز محمد): وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية الفصل الأول، طبيعة الإتصال الإنسانى، ص 12.

الفصل الثانى: مبادئ الإعلام فى الإسلام

يقوم الإعلام فى الإسلام على عدة مبادئ تبيِّن وظيفته وتحكم أداءه. فنذكر أهمها فيما يلى:

1- فرضية الإعلام:

ليس هنالك مبالغة ولا شطط فى القول إذا قلنا إن الدين الإسلامى هو دين إعلامى بطبيعته. والرسول ﷺ هو قائد الإعلاميين، فهو الذى اصطفاه الله تعالى ليكون داعياً ينير الطريق إلى الله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ - الأحزاب: 45، 46.

وبهذا يصبح الإعلام المتمثل فى الدعوة إلى دين الإسلام فرض عين على عاتق الرسول ﷺ، فهو الذى أنيط به واجب دعوة البشرية إلى الدخول فى سبيل الإسلام ونبذ السبل الأخرى. قال الله عز وجل:﴿ إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ - المزمل: 19.

فالدعوة فرض عين على الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى خلقه، كما أنها فرض عين على كل مسلم إذ تعين عليه دعوة نفسه لتنقاد فى طريق الإسلام وذلك بامتثال أوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه، ثم تتحرك دعوة الفرد من

نفسه إلى أهله وعترته. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ - التحريم: 6، وقال تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ - الشعراء: 214.

والدعوة تكون بعد ذلك فرض كفاية، فيقوم بها أَتْبَاعُ الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ - يوسف: 108. فهى دعوة للنصح يقوم بها كل مواطن يدرك معنى الحديث الشريف: "الدين النصيحة"[1]. وهى دعوة للخير بالتعليم والإرشاد يؤديها القادرون عليها من أهل العلم والسلطان، أى تقوم بها طائفة من العلماء. قال تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ - التوبة: 122. وهذا سبق للإسلام إذ أقر مبدأ التخصص فى الأعمال، لأن الإعلام هنا – وبمعناه التخصصى - يقوم به فقهاء ذوو بصيرة ودراية بالموضوع – وهو الدين – وأساليب إيصاله إلى المجتمع.

2- حرية الكلمة:

هذا هو المقَوِّم الثانى للإعلام الإسلامى. فى تعريف الإعلام سبقت الإشارة إلى حرية الكلمة عندما ذكرنا إتيان المرء بسنة حسنة يتبعه فيها بقية الناس. فالإسلام يكفل حرية المعتقِد والداعى، وينهى عن الترصد بالشر لمعتنقى الإسلام ودعاته؛ قال تعالى: ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعِدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً﴾ – الأعراف: 86، وقال تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ - البروج: 10.

كما يكفل الإسلام حرية المدعو ويمنحه حرية الاختيار؛ قال تعالى: ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشدُ من الغى﴾ - البقرة: 256، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّر إنما أنت مُذَكِّر * لست عليهم بمصيطر﴾- الغاشية: 21، 22. ولقد عمل الإسلام بشتى الوسائل لنشر هذه الحرية حتى ولوكان بالقتال. فالجهاد فى الإسلام ما هو إلاّ اقتلاع بالسيف لهذه الحرية – قتالاً للكفار الذين صادروا حرية الاعتقاد وعذبوا المسلمين الأوائل واضطروهم للهجرة عن أوطانهم؛ قال تعالى: ﴿أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أُخْرِجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربنا الله﴾ - الحج: 39، 40. إذاً كانت حروب المسلمين ضد الكفار حروباً دفاعية، أتى الإذن بها من الله تعالى. فلم ينتشر الإسلام بالسيف كما يزعم الغربيون ومَنْ لفّ لفهم.

فمنهج الإعلام الإسلامى يغاير منهج النظم الثيوقراطية الكهنوتية الموجود فى الكنيسة والذى يقوم على تسلط رجال الدين واحتكارهم توجيه الناس و إعلامهم، كما أنه يختلف عن النهج الليبرالى القائم على إلغاء الجماعة على حساب سيطرة الفرد للرأى، تلك السيطرة المتمثلة فى خصخصة وسائل الإعلام لتتبع لصاحب المؤسسة الإعلامية، كما أن النهج الإعلامى الإسلامى مباين للنظام الشيوعى الماركسى الذى يكرس مصلحة المجتمع والجماعة على حساب الفرد. بل هو نهج إعلامى يقع فيه الخطأ وتصويبه – بفتحه باب الاجتهاد والأجر عليه، وهو منهج يتاح للناس فيه أن يعرفوا منه وينكروا عليه، فهو منهج الذين: ﴿أمرهم شورى بينهم﴾ - الشورى: 38.

وللصوفية مفهوم عميق عن الحرية، فليست الحرية عندهم مجرد التحرر من رق الإنسان لأخيه الإنسان وتسلطه عليه. بل هى كما قال الإمام القشيرى: سمعت أبا على الدقاق يقول: "أنت عبد مَنْ أنت فى رقه وأسْرِه، فإن كنت أسير نفسك، فأنت عبد نفسك؛ وإن كنت أسير دنياك فأنت عبد دنياك"[2]. وإمامهم فى ذلك الحديث النبوى الشريف: "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أُعْطِى رضى، وإن لم يُعْطَ لم يرض"[3]. فالحر عند القوم هو مَنْ تنزه فى سبيل الله عن شهواته ونزواته فأصبح طالباً للحق عز وجل ومدافعاً عن الحق الذى لا يلبس بالباطل. والحر مَنْ قنع بما لديه ولم يشرئب لما فى أيدى غيره، قال الشيخ بنان الحمال[4]:

الحر عبد ما طَمِع والعبد حر ما قَنِع

فهذه الحرية كما عرفها الصوفية تكسب الإعلامى الشجاعة فى قول الحق دون أن تأخذه فى الله لومة لائم.

3- علانية الدعوة:

إن الإسلام هو دين الله تعالى الذى من أسمائه "الظاهر". وقد نزلت الشريعة الإسلامية لتحكم على ظاهر سلوك البشر؛ ولهذا جاء القرءان الكريم بالقول الصريح والبيان الواضح والدعوة المجهورة لكل البشرية. فليس ثمة أجندة خفية فى الدعوة إلى الله تعالى، فقد حذر الله تعالى من كتمان الدعوة وكلمة الحق؛

قال عز وجل: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلاّ النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ - البقرة: 174. وفى ذات الوقت أمر الإسلام ببث كلمة الحق ونشرها والجهر بها؛ قال تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ - الحجر: 94. وقال رسول الله: "بلغوا عنى ولو آية"[5].

4- صفات الداعى:

ومن أهم مقومات الإعلام الإسلامى تحديد الصفات والأخلاق التى ينبغى أن تتوفر فى الداعى. إن دعوة الإسلام تربوية وأخلاقية فى المقام الأول؛ والذى يدعو للخير لا بد أن تتوفر فيه صفات الخير فى داخله أولاً حتى يستطيع أن يبلغ رسالته بصدق وحرارة. فعلى داعية الإسلام التحلى بما يلى:

أ- الإيمان:

إن الدعوة للدخول فى الإسلام خاطبت كل الناس، فاستجاب لها المسلمون، ورفضها الكافرون، ووقف المنافقون بين بين. ثم ترقى المسلمون درجات فتنوع الخطاب للمسلم والمؤمن، وجرى تفريق بينهما فى قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم﴾ - الحجرات: 14. فمن كان مؤمناً بقضيته يبذل قصارى جهده فى سبيل إيصالها للآخرين ويدافع عنها ببذل الغالى والنفيس.

ب- الصدق والأمانة:

قال رسول الله ﷺ: "إن الرجل يصدق حتى يُكْتَب صديقاً، ويكذب حتى يُكْتَب كذاباً"[6]. وفى حديث جعفر بن أبى طالب ﷺ: ".... وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة"[7]. فالصدق والأمانة بمثابة الإزار والرداء لرجل الإعلام. ولكن هنالك مفهوم خاطئ فى أوساط الإعلاميين، وهو أن الإعلام يقوم على الإثارة ولو كان الخبر فيها كاذباً. فهم يقولون – مثلاً – إن عبارة: "كلب يعض إنساناً" ليست بخبر لأن هذا أمر مألوف، ولكن عبارة: "إنسان يعض كلباً"، فهذا هو الخبر لأنه أكثر غرابةً وإثارةً.

" إذا كان الإسلام يقر التوجه إلى عقول الناس بالفكر والحكمة، وإلى قلوبهم ووجدانهم بالموعظة الحسنة، فإنه يرفض تماماً إثارة الغرائز الدنيا والرغبات الحسية الجامحة وصياغة الأكاذيب المضللة والغوايات الخادعة"[8].

إننا لا نقول بتحريم إيراد الأخبار الغريبة ولكنا ننادى بتحرى الواقعية فى إيراد الخبر حتى لا يحمل الخبر زعزعة للنفس بفراقع جوفاء لا محتوى فيها، وحتى لا يحمل الخبر آمالاً خائبة لا تحقيق لها.

جـ- العلم:

يحذِّر الإسلام من الاتباع الأعمى الذى لا يسنده العلم؛ قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾- الإسراء: 36. فالداعى يعرف أصول دعوته وفروعها ودقائق مسائلها.

كما يعلم مناهج الدعوة وطرق توصيل المعرفة. ويبدأ هذا العلم بمعرفة القرءان الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما بنى عليهما من فقه وفتوى فى اجتهادات العلماء وإجماعهم. ثم يمتد ليشمل المعرفة بالنفس البشرية وأسرارها ودوافع التصرفات ونوازع السلوك وأثر الحافز والرادع فيكون الداعى بشيراً ونذيراً على بينة من أمر دعوته.

د- حسن الخلق:

جاء الإسلام لكى يرسى قواعد حسن الخلق، ففى الحديث النبوى الشريف: "إن أحبكم إلىَّ وأقربكم منى فى الآخرة محاسنكم أخلاقاً"[9]. فعلى الداعى أن يكون ذا حلم ورفق بمن يدعو، وأن يخفض له جناح الذل والرحمة، وأن يجادل بالتى هى أحسن؛ قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ – النحل: 125، وقال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾ - آل عمران: 159. ففى مواصفات الداعية نجد المؤمن العالم ذا الخلق الرفيع. وللصوفية فى هذه الصفات القدح المعلى بما استوعبوا من أسرار النفس عند مجاهداتها، أى معرفتهم بما للنفس من رعونة عند غوايتها وما لها من خير عند هدايتها، وبما تخلقوا به من أخلاق نبوية فى تعاملهم مع المريد الذى يتوجهون إليه بالدعوة. ومن أراد التأصيل لعلم النفس التربوى الإسلامى لا يمكنه تجاوز الأثر الصوفى العميق فى هذا المجال الحيوى. قال الدكتور

حسن الشافعى: "أما مجال الدراسات النفسية فنعتقد أن التصوف الإسلامى أكثر اتصالاً به"[10].

هوامش الفصل الثانى: (مبادئ الإعلام فى الإسلام)

1- النسائى (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب): سنن النسائى، 40/22 كتاب البيعة، 31 باب النصيحة للإمام، ص 999، حديث رقم 4206.

2- القشيرى (العلامة العارف بالله تعالى أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابورى): الرسالة القشيرية، الفصل الثانى، شرح المقامات أو مدارج أرباب السلوك، 23 العبودية، ص 198.

3- البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، 81 كتاب الرقاق، 10 باب ما يتقى من فتنة المال، ص 1360، حديث رقم 6435.

4- ابن الجوزى (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على): صفة الصفوة، مجلد 1، ج 2، ص 271.

5- الدارمى (الإمام عبد الله بن عبد الرحمن): سنن الدارمى، ج 1، كتاب المقدمة، ص 129، حديث رقم 542.

6- مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى): صحيح مسلم، 45 كتاب البر والصلة والآداب، 28 باب تحريم النميمة، ج 4، ص 2012، حديث رقم 102 (2606).

7- ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيبانى): مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث جعفر بن أبى طالب ﷺ، ج 1، ص 263، حديث رقم 202 (1745).

8- إمام (دكتور إبراهيم): كتاب الإعلام فى الإسلام – المرحلة الشفهية، الفصل الثانى ، نظرية الإعلام الاسلامى، ص 41.

9- ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيبانى): مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مسند الشاميين، حديث ثعلبة الخشنى، ج 4، ص 237، حديث رقم 193 (17748).
10- الشافعى (الدكتور محمود حسن): المدخل إلى دراسة علم الكلام، ص 228.

الفصل الثالث: أدوات الإعلام عند المسلمين

تتعدد وسائل الإعلام فى الإسلام فتشمل شتى الوسائل التى تستخدمها الأمم لإيصال المعلومة والمعرفة. ونذكر من هذه الوسائل ما يلى:

1- الخطبة:

إن الخطبة أو الخطابة هى فن مخاطبة الجمهور، ويعتمد هذا الفن على الإقناع والاستمالة، أى التأثير على عقول وعواطف السامعين[1]. وهى كلمة يلقيها المتحدث أمام الجمع من المستمعين. والخطبة تكاد تكون أهم وسيلة إعلامية لأنها تحتوى على معظم الأجناس الأدبية من شعر، نثر، حكاية وضرب للأمثال. فمن هذه الخطب نجد خطبة صلاة الجمعة، خطبة صلاة العيدين، وخطبة الوقوف بعرفة، وغير ذلك من الخطب المستحدثة مثل الخطاب السياسى وكلمة الحاكم أمام الجمهور، وحديث العالم الدينى لتوعية الناس، وخطب المتحدثين أمام الجماهير المحتشدة فى المسيرات والمظاهرات والمهرجانات والندوات، وغير ذلك من الخطب والأحاديث. ولكن مع وجود التلفاز وانتشاره فى المنازل والمحلات العامة تكاد الخطبة أن تكون مسموعة على الدوام ومستمرة الوجود، لا يحصرها زمان ولا يحدها مكان.

2- القصة:

لقد استخدم القرءان الكريم القصة لنقل تجارب الأمم والرسل السابقين، وذلك بغرض التفكر والعظة؛ قال تعالى: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ - الأعراف: 176، وقال الله عز وجل: ﴿لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ - يوسف: 111. والقصة منها ما يؤرخ للمجتمع ممثلاً فى أشخاص بعينهم كالحديث عن فرعون وهامان وقارون، ومنها ما يعكس حياة الأمم والمجتمعات دون التعرض لذكر أشخاص بعينهم، كالحديث العام الذى ورد فى شأن قوم بعض الرسل، وفى بعض الأمم الغابرة.

3- الرسائل:

وهذا ابتكار إسلامى أتى به الرسول ﷺ عندما بعث الرسل يحملون رسائل الدعوة إلى دين الإسلام ، فأرسل النبى ﷺ رسله إلى الملوك والأمراء العرب، وإلى الملوك الأعاجم يدعوهم إلى كلمة التوحيد. فالرسائل وسيلة تعكس حسن نية الداعى وحرصه على توصيل دعوته بالوسيلة السلمية والنَّفَس الهادئ، وصوت المنطق والحجة والإقناع.

وبعض الرسائل اتصف بصفة البحوث العلمية المطولة التى يبعث بها كاتبها إلى كل الأمة، مثل رسائل أخوان الصفا، والرسالة القشيرية فى التصوف، وغيرها من الرسائل العلمية.

4- الشعر:

والشعر هو ديوان العرب ولسانهم المنافح عنهم فى ذكرهم مآثرهم وأمجادهم. وقد استغل الإسلام هذه الوسيلة أيما استغلال، فكان سيدنا حسان ابن ثابت ﷺ من أشهر شعراء الرسول ﷺ، وكان هو ومَنْ معه من بقية شعراء المسلمين مثل سيدنا عبد الله بن رواحة ﷺ يدافعون عن الإسلام وعن الرسول ﷺ ضد خصومه. قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: (فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله")[2].

5- المؤتمرات والاجتماعات:

وهى لقاء بين الشعوب أو بين الحاكم ورعيته. ومن أهم المؤتمرات التى استغلها الإسلام للدعوة هى الحج إلى بيت الله الحرام، ذلك التجمع الدينى الذى يعتبر من أكبر المؤتمرات حيث يلتقى المسلمون ويتبادلون الآراء ويعلنون فيه مبادئ الإسلام وشعائره. وقد كان الرسول ﷺ يلتقى بالوفود القادمة للحج ويعلن دعوته وما استجد فيها من تشريعات، وقبلها كان يلتقى بالجموع التى تحضر فى المواسم إلى سوق عكاظ الذى كان تجمعاً للتجارة ومنتدى أدبياً للخطب والأشعار. وكان ﷺ يعرض نفسه على منازل القبائل العربية فيقول: "يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ....."[3]. كما "كان ﷺ يلاقى الوفود القادمة إليه للاستفسار عن دعوته وللإيمان به ﷺ"[4].

6- المناظرة:

"وهى تبادل الآراء المتعارضة فى موضوع يثير الجدل. وهى عند العرب نوع من المحاورات التى احتدمت بين النحاة والمناطقة والمتكلمين والفقهاء وأصحاب الملل والنحل حول مسائل عقائدية وغير عقائدية"[5]. وقد ازدهر هذا الأسلوب من الدعوة والإعلام فى القرن الرابع الهجرى عند علماء الكلام الذين أرادوا إثبات الإيمانيات بالحجة والمنطق فى وجه خصوم لا يؤمنون إلاّ بالعقل. فكان العلماء قد حاولوا تقييد مبادئ التوحيد لتقف ندّاً مع المنطق والفلسفة، وبهذا نشأ علم الكلام الذى أظهره المعتزلة فى نشر مذهبهم بعقد المناظرات.

7- المسرح:

إن التمثل بصورة الآخرين وخلق أوضاع خيالية لتوصيل المعلومة أمر يمارسه المجتمع فى مختلف حالاته، ومثال ذلك حقل التعليم الذى تفترض فيه المشكلة – المسألة فى الرياضيات – ومحاولة علاجها، فمتعلم اللغة الأجنبية يفترض أنه يخاطب أجنبياً، ودارس علم الفضاء يفترض نفسه على منصة الفضاء، فكل ذلك نوع من الأداء المسرحى الذى يفترض فيه قضية تتناولها شخصيات الممثلين.

وإن كانت بذور المسرح قد وجدت مادتها الخصبة فى حوارات الكفار مع الرسل السابقين حيث أنها كانت أول حوارات جادة تصب فى معين توعية البشر وهدايتهم، غير أنه فى العصر الحديث قد اتخذ المسرح موقعاً مهماً من بين وسائل الإعلام فظهرت المسرحيات الدينية والاجتماعية والسياسية.

8- وسائل متنوعة:

أما فى العصر الحديث وبعد انتشار الوسائل الحديثة التى تستخدم التقنية العالية فقد تنوعت أدوات الإعلام لتشمل الصحيفة، المجلة، الكتاب، المهرجانات، الكرنفالات، المعارض، الندوات والمحاضرات، اللقاءات التى تبث عبر جهاز التلفاز، وبرامج التلفاز الأخرى، السينما، أجهزة الاتصال الرقمية، والشبكة العالمية المعلوماتية (الإنترنت) وغيرها.

تلك هى بعض أدوات الإعلام فى الإسلام وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام قد استغل كل هذه الوسائل، واستخدمها بحسب ما يتطلبه الوضع وبحسب البيئة والتشريع؛ فخطبة الجمعة لا تكون إلاّ فى صلاة الجمعة، فخطب الرسول ﷺ فى قومه، وأرسل الرسل إلى القبائل، وكتب إلى الملوك، واستنهض الشعراء لنصرة الإسلام.

إن أهم ما فى الإعلام الإسلامى أنه إعلام ملتزم. فالدعوة العالمية للالتزام فى الأدب والتى نسمع بها الآن فى الدوائر الأدبية والفكرية قد سبقها الإسلام قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، وذلك لأن داعية الإسلام إنما يلتزم بدعوة الناس إلى اتباع المنهج الربانى الذى لا حيدة عنه، حيث يعمل الإعلام ضمن إطار مرجعى

إسلامى يحكم نشاطه ويوجه غاياته ويحدد وسائله. إذاً لا توجد أغراض شخصية ضيقة فى الدعوة إلى الإسلام، بل هو جهاد بالكلمة لتكون كلمة الله هى العليا. فالإعلام الإسلامى يستخدم فى كل الظروف؛ فى السلم وفى الحرب. فقد أمر الرسول ﷺ الصحابى عبدالله بن أبى حدرد الأسلمى ﷺ أن يكون عيناً له على الأعداء(6). فذلكم استخدام للإعلام فى الحرب النفسية وزعزعة العدو وهز معنوياته. وهذا هو عين ما تقوم به الجهات العسكرية اليوم فيما يسمونه اليوم بالتوجيه المعنوى للجنود. فالدولة الحديثة الآن تحاول كسب المعركة بالتغطية الإعلامية التى تخدم أهدافها الحربية ومحاربة الإعلام المضاد، حتى أنه ليقال إن فى معاركنا العصرية، وقتالها الظالم يكون أول قتيل فى المعركة هو حرية الكلمة والإعلام الذى بات أول مستهدف من قبل العدو. فالمعركة اليوم تحسم إعلامياً أولاً، وعلى ضوء هذا الحسم الإعلامى تحسم المعركة فى ميدان القتال لصالح الإعلام المنتصر.

نرى مما تقدم أن الإسلام هو دين الكلمة الواضحة والقول الفصل. ولهذا نجد أن القرءان الكريم ببلاغته وأسلوبه المبين وطريقة عرضه المفحمة للأفكار ومنطقه القوى قد كان بمثابة التحدى الأكبر للعرب. وهذا الأسلوب الإعلامى الذى أتى به القرءان الكريم قد جاء بعد النضج الفكرى والعاطفى الذى وصلت إليه البشرية. فهو حجة بالكلمة تختلف عن الحجة بالمعجزات المادية التى كانت فى الرسالات السماوية السابقة؛ فقد كانت معجزة سيدنا موسى عليه السلام بالعصا التى غلبت سحر الفراعنة، وكانت معجزة سيدنا عيسى عليه السلام بعلاج الأمراض

التى استعصت على الطب البشرى. أما معجزة سيدنا محمد ﷺ فقد شملت المعجزات الحسية أيضاً مثل نبع الماء من بين أصابع يده الشريفة، وتكثير الطعام، وإبراء الأسقام ومخاطبة الحيوان والجماد إياه ﷺ وغيرها مما لا يحصى من معجزاته ﷺ. هذا إذا اعتبرنا معجزات الأنبياء وكرامات الصالحين من وسائل دعوة الخلق لتصديق الرسل والدعاة. ولكن يظل القرءان الكريم بلغته وآرائه الجديدة وأسلوبه الخطابى المتميز هو أعظم تحدى للعرب وأكبر معجزة وأهم وسيلة للدعوة والإعلام، ولهذا طلب المولى عز وجل من الرسول ﷺ أن يحرص على إسماعه كفار قريش هذا القرءان؛ قال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ - التوبة: 6. وباهتمام مغاير ولما علم كفار قريش أن الاستماع إلى القرءان الكريم يرقق القلب ويقوده إلى الإيمان وقفوا ضد هذا الاستماع؛ قال تعالى على لسان الكفار: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه﴾ - فصلت: 26.

ثم أحاطهم الإسلام بنداء آخر، هو النداء للصلاة بالآذان على منائر المساجد. وهذا نداء فصيح معرب الكلمات لا يقارن بأجراس الكنيسة ولا بأبواق اليهود التى هى أصوات آلات تفتقر إلى حرارة الكلمة الموجودة فى آذان المسلمين. وهذا الآذان بالإضافة إلى استخدامه كنداء للصلاة فهو نداء للحج وللحرب، وصوت حق لبث الإيمان فى أذن المولود حديثاً. وقد جُمِعت فى عبارات الآذان شهادة الإسلام وقواعد التوحيد ودلائل الخير والفلاح[7].

هوامش الفصل الثالث: (أدوات الإعلام عند المسلمين)

1- حسين (طه) وآخرون: التوجيه الأدبى، ص 28.

2- مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى): صحيح مسلم، 44 كتاب فضائل الصحابة، 34 باب فضائل حسان بن ثابت ﷺ، ج 4 ص 1936، حديث رقم 157 (2490).

3- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك الحميرى): السيرة النبوية لابن هشام، عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل، ج 2، ص 64.

4- الزرقانى (محمد بن عبد الباقى بن يوسف بن أحمد بن علوان): شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلانى، الفصل العاشر، فى ذكر من وفد عليه ﷺ، ج 5، ص 113.

5- وهبة (مجدى) وآخرون: معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، المناظرة، ص 390.

6- ابن الأثير (الشيخ العلامة عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى): أسد الغابة فى معرفة الصحابة، ج 3، ص 141.

7- قريب الله (الشيخ حسن الشيخ الفاتح الشيخ): دور الصوفية فى ميدان الإعلام، ص 107 وما بعدها (بتصرف).

الباب الثانى: الصوفية والإعلام

الفصل الأول: تعريف التصوف

الفصل الثانى: إهتمام الصوفية بالإعلام

الفصل الأول: تعريف التصوف

للتصوف تعاريف عديدة نذكر منها الآتى:

أ- سئل الإمام الجنيد عن التصوف فعرَّفه بالتخلية والتحلية، وقال: "هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به"[1]، أى هو انخلاعك عن رذائل صفاتك وتخلقك بصفات مولاك عز وجل. فالخروج من مساوئ البشرية نوع من الهجرة الداخلية والسفر الروحى، وقد قال صاحب الرسالة القشيرية: "سفر البدن هو الانتقال من بقعة إلى بقعة، وسفر القلب هو الارتقاء من صفة إلى صفة"[2]. وعرفه الشيخ محمد ابن على الكتانى بالخلق فقال: "التصوف خلق، فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى التصوف"[3]، وحسن الخلق مما أكدت على وجوبه آيات القرءان الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ – النحل: 90؛ وقال رسول الله ﷺ: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه"[4]؛ وقال أحمد الجريرى معرِّفاً التصوف بالأدب: "التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب"[5]؛ وقد روى فى الحديث النبوى الشريف: "إن الله أدبنى فأحسن تأديبى"[6]؛ وقال رسول الله ﷺ: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلاّ ما قُدِّرَ له"[7]. وقد عرَّف غيرهم التصوف بأنه الصفاء، فها هو الشيخ أبو الفتح البستى يقول[8]:

ولست أمنح هذا الإسم غير فتىً

وعرفه رويم بأنه: "استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد"، أى موافقة المولى عز وجل على مراده، أى عرفه بالاستسلام لله تعالى وإسلام الوجه لله عز وجل. وهذا شبيه بتعريف الشيخ على المزين حين قال: " التصوف الانقياد للحق" .

وهنالك تعاريف أخرى للتصوف يضيق المجال عن ذكرها. فعلى قدر عظمة المسمى تكثر الأسماء، وعلى سعة المعرَّف تتعدد التعاريف، فالتصوف بحر زاخر بالعلوم والفيوض الربانية، ولهذا يقول السادة الصوفية: "الطريق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلق"، ولا يعنى هذا القول تفرق السبل وافتراق الأمة، لكنه يعنى تعدد السبل الموصلة إلى الله سبحانه وتعالى كما فى قول الله عز وجل: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ – العنكبوت: 69. أى السبل التى تتفرع إلى سبيل الأبرار وسبيل المقربين وسبيل المتوكلين وسبيل الصابرين وسبيل الشاكرين وسبيل الذاكرين وغيرهم من أرباب السلوك والسير إلى الله عز وجل، فكلٌّ سائر فى سبيله إلى الله عز وجل وكلٌّ يعبِّر عما غلب عليه من حال ومقام وصفات هو سائر بها إلى الله تعالى. قال عز وجل: ﴿ولكلٍ وجهةٌ هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾ – البقرة: 148. إذاً فهذه التعاريف المتعددة للتصوف لا تفيد الخلاف بين أهله بقدر ما تفيد الاختلاف والتنوع فى المشارب والأحوال والمقامات.

وكل هذه التعاريف تصب فى إطار التوجه الصادق من المسلم لله تعالى. والأصل الشرعى لكل هذه الأقوال هو تعريف التصوف بالإحسان الذى جاء بيانه فى

الحديث الشريف: "أن تعبد الله كأنك تراه"[9]، وهو جزء من حديث مطول فى صحيح مسلم.

هوامش الفصل الأول: (تعريف التصوف)

1- القشيرى (العلامة العارف بالله تعالى أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابورى): الرسالة القشيرية، الفصل الثانى، شرح المقامات، 39 التصوف، ص .280

2- نفس المصدر السابق، الفصل الثانى، شرح المقامات، 41 أحكام السفر، ص .289

3- نفس المصدر السابق، الفصل الثانى، شرح المقامات، 39 التصوف، ص .281

4- الهيثمى (الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 33 كتاب الأدب، 9 باب ما جاء فى حسن الخلق، ج 8، ص 16، حديث رقم 12675.

5- القشيرى (العلامة العارف بالله تعالى أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابورى): الرسالة القشيرية، الفصل الثانى، شرح المقامات، 39 التصوف، ص .282

6- السخاوى (الإمام الحافظ الناقد المؤرخ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن): المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، حرف الهمزة، ص 29، حديث رقم .45

7- الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): سنن الترمذى، 35 كتاب صفة القيامة، 30 باب، ج 4، ص 642، حديث رقم .2470

8- ابن عجيبة الحسنى (العارف بالله تعالى أحمد بن محمد): إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، ص 6.

9- مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى): صحيح مسلم، كتاب الإيمان، 1 باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج 1، ص 36، حديث رقم 1.

الفصل الثانى: إهتم-ام الصوفية بالإعلام

إن الإعلام عند الصوفية يقوم على الهدف الإسلامى السامى وهو الدعوة إلى الله تعالى. فغاية التربية الصوفية تحقيق العبودية لله وعمارة الكون فى شتى النواحى؛ قال تعالى: ﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين﴾ - الأنعام: 162. فعمارة الكون لا تعنى التعمير المادى من أدوات وآليات ومعمار المبانى السكنية فقط، وإنما تشمل تعمير الأرض بإقامة قيم الحق والعدل والحكم بمعيار إسلامى يراعى فيه العمل بالحلال وتجنب الحرام وفقاً لتعاليم الإسلام.

والصوفية بقدر ما يستخدمون الكلمة لتفى بالأغراض الإعلامية العامة فإنهم فى معظم حالاتهم الخاصة يعلنون عن أنفسهم فى لغات صامتة. بل الصمت عندهم أبلغ تعبير حتى حسبوه من أركان الطريق الصوفى؛ قال شاعرهم[1]:

بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال

ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه الغالى

وذلك لأن الكلمة الجوفاء – فى اعتقادهم – إنما هى ثرثرة تضر بالإعلام، لأنها قد تكون من قبيل عدم ترك المرء ما لا يعنيه، وقد روى فى السنة النبوية الشريفة: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"[2].

فالإعلام عند الصوفية هو دعوة للهدى وللخير والفضيلة؛ قال رسول الله ﷺ: "لإن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[3]،

والإعلام هو تعاون على البر وعلى فعل المعروف والخيرات، قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ - المائدة: 2.

فالتصوف - كما مر بنا سابقاً - يعرفه البعض بأنه الدعوة إلى بلوغ مقام الإحسان الوارد فى الحديث الشريف: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تره فإنه يراك"[4]؛ فالصوفية لا تقف أعمالهم عند رتبة الإسلام والإيمان بل تتعداها إلى مقام الإحسان، فهم يتبعون أحسن الأعمال وأحسن الأقوال؛ قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين﴾ - فصلت: 33. فالإعلام عند الصوفية هو قول طيب، وهو قول حسن بمقتضى قوله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ - البقرة: 83؛ وقول الله عز وجل: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ - الحج: 24.

ولهذا فقد قامت دعوة الصوفية وإدخال الناس فى طريق الخير ودين الإسلام على الرفق والرحمة، ولين الإرشاد، وإحسان المعاملة تمثلا بقول الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ - آل عمران: 15.

هوامش الفصل الثانى: (اهتمام الصوفية بالإعلام)

1- الشرنوبى (أحمد عرب): تائية السلوك إلى ملك الملوك، ص .11

2- البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، 78 كتاب الأدب، 31 باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ص 1280، حديث رقم 6018.

3- نفس المصدر السابق ، 62 كتاب فضائل الصحابة، 9 باب مناقب على بن أبى طالب ﷺ، ص 761، حديث رقم .3701

4- سبق تخريجه فى الفصل السابق (الحاشية: 9).

الباب الثالث: أدوات الإعلام عند الصوفية

الفصل الأول: الوسائل الإعلامية المألوفة

الفصل الثانى: وسائل صوفية مبتكرة

الفصل الأول: الوسائل الإعلامية المألوفة

لقد استخدم الصوفية فى الإعلام شتى الأدوات التى تمكنهم من إيصال رسالتهم الدينية إلى الناس، فمنها الوسائل المألوفة التى يشاركهم فيها كل فرق المسلمين الأخرى، ومنها الوسائل التى ابتكرها الصوفية وتفردوا بها. ونحن هنا نقتطف بعضاً من هذه الأدوات، ونبدأ بالوسائل المألوفة:

1- القرءان الكريم:

إن أول كلمة أرادوا إيصالها للناس هى كلمة الله العليا، وهى القرءان الكريم. فاتخذ الصوفية من دُورِهم وربطاتهم خلوات لتحفيظ القرءان الكريم. والخلوة نوع من دور العلم حيث يتم فيها تدريس القرءان الكريم وعلومه لطالبٍ يتلقى القرءان وهو مقيم فى سكن الخلوة التى تقدم له الخدمات الأخرى من إعاشة وعلاج وكساء؛ فعلى سبيل المثال لهذه الخلوات نجد فى خلوات الشيخ دفع الله الصائم ديمه – المقر الرئيس بأمبدة، الحارة الرابعة (أم درمان) بالسودان، ما يقارب السبعمائة طالب يدرسون القرءان، وهذا الجمع الغفير يعد أكبر تظاهرة إعلامية تشاهد عياناً بياناً. ففى هذه الخلوات يقوم بالتدريس شيوخ متخصصون يتابعون تلاميذهم طيلة اليوم؛ فلتدريس القرءان بالخلوة منهج وبرنامج خاص[1]. فقراءة التلاميذ وحركتهم داخل ساحة الدرس والنار الموقدة للقراءة ورنين القارئين كل ذلك فى حد ذاته إعلام يجذب المارة للاستماع ومشاهدة التلاميذ وهم يدرسون القرءان الكريم.

ثم هنالك حفلات تخريج الحفظة، تلك الحفلات التى تعد أكبر صدى إعلامى ينبعث من ديار الصوفية ومسائدهم.

لا شك أن القرءان الكريم هو محط اهتمام كافة المسلمين فهم يتلونه ويحفظونه عن ظهر قلب ويدرسون علومه المتعلقة به. غير أن نهج الخلوة هو ابتكار صوفى محض. فالخلوة فى المجتمع السودانى عندما أنشئت فى عهد سلطنة الفونج (1504 – 1823 م) كانت تقوم بعدة وظائف دينية واجتماعية، نذكر منها ما يلى: "تدريس القرءان الكريم والفقه والتصوف، استقبال الضيوف، علاج المرضى وخاصة المرضى النفسانيين، معالجة قضايا الأحوال الشخصية مثل عقود الزواج وتوثيق عقود الأراضى، حفظ الأموال والودائع والبضائع والوثائق النادرة، ملجأ للمظلوم والمرقوب (المطالب بدية قتل الرقبة – النفس – أو القصاص) وطالب الحاجة، ومنتدى للأنس ونشر الوعى وممارسة التعبير عن مجمل الإرادة والرأى العام الشعبى لسكان المنطقة"[2]. أما اليوم فإنه مواكبةً لروح العصر التخصصية فقد اقتصرت الخلوة على تدريس القرءان الكريم وعلومه، بينما نجد بقية المهام الأخرى المذكورة قد تحولت إلى نشاط المسيد ككل حيث أفردت لها إدارات خاصة بها فى المسيد.

2- الحكم والمواعظ:

هذا لون من ألوان الإعلام والدعوة قد أخذ الصوفية بتلابيبه، وتعلقوا به كإحدى وسائل إيصال المعلومة.

إن خير ما يمثل المواعظ والحكم هو كتاب الله العزيز، فالقرءان الكريم كله حكم ومواعظ، قال تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ - آل عمران: 138.

ثم تأتى خطب الرسول ﷺ وأحاديثه، والتى هى ترجمان لمواعظ وتعاليم القرءان الكريم. ومواعظ الرسول ﷺ فى أحاديثه أشهر من أن نذكرها.

والصوفية هم أرباب الحكمة والمعرفة وأهل العلم اللدنى؛ قال تعالى: ﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ – الكهف: 65. فالحكمة تنبع من قلوبهم وتنساب على ألسنتهم موجزة العبارة عميقة الإشارة، وقد شربوا من معين النبى ﷺ الذى أوتى جوامع الكلم.

فإذا استمعنا إلى الشيخ ابن عطاء الله السكندرى فى حِكَمِه نجده يقول عن كرم المولى عز وجل: "إذ أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب إليك"[3]؛ كما يقول فى مفهوم الخمول (وهو عدم التطلع إلى ذيوع الصيت): "أدفن نفسك فى أرض الخمول. فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه"[4].

وفى شهود العارفين بربهم الذين لا يرون فى الوجود فاعلاً سوى الله تعالى. قال بعض أهل التحقيق: "معنى أنه واحد نفى القسيم لذاته – أى نفى الشريك لذاته – ونفى التشبيه عن حقه وصفاته، ونفى الشريك معه فى أفعاله ومصنوعاته"[5].

ومن حِكَم النصح والإرشاد بثر علينا الإمام الشيخ عبدالقادر الجيلانى درره قائلاً: "كن صحيحاً تكن فصيحاً، كن صحيحاً فى الحكم تكن فصيحاً فى العلم، كن صحيحاً فى السر تكن فصيحاً فى العلانية، كل السلامة فى طاعة الحق عز وجل" [6].

وكتاب القطب سيدى الشيخ عبدالقادر الجيلانى المسمى: (الفتح الربانى والفيض الرحمانى) هو كتاب يفيض بالحِكَم والمواعظ ورقائق التصوف التى تنم عن علمٍ خبيرٍ عرف مسالك النفس البشرية وتبين دروب خلاصها من رعوناتها؛ ونقرأ فى هذا الكتاب قول الشيخ: "إذا أردت الفلاح فخالف نفسك فى موافقة ربك عز وجل، ووافقها فى طاعته، وخالفها فى معصيته. نفسك حجابك عن معرفة الخلق، والخلق حجابك عن معرفة الخالق عز وجل. فما دمت مع نفسك لا تعرف الخلق، وما دمت مع الخلق لا تعرف الحق عز وجل"[7].

ويندرج تحت هذا اللون من المواعظ النصيحة والوصية التى يسجلها الشيوخ لتلاميذهم. وللشيخ محى الدين بن العربى كتاب بحاله اسمه (الوصايا) سجل فيه نصحه ووصاياه للمريدين؛ وقد جاء فيه: "وعليك بالاقتداء برسول الله ﷺ فى أحواله وأقواله وأفعاله إلاّ ما نص عليه أنه مختص به مما لا يجوز لنا أن نفعله أو خاطب به أحداً من الناس ونهى غيره عن ذلك"[8].

وفى هذا المجال من الوصايا نفسه فقد كتب الشيخ عبد المحمود ابن الشيخ الجيلى كتاباً سماه (الوصية) جاء فيه: "عليكم – بنى – بمراجعة عملكم وإحصاء كلمكم بعرضه على الحق، فإن رجح فى ميزانه فاثبتوا عليه، وإن خف فى موازينه

فاجتنبوه ولا يغرنكم بأنفسكم المحسِّنون لما جهلوا، القائلون بما لم يعلموا، فكل أحد – بنى – أعلم بنفسه من غيره، فلا يغرنكم بها غرار. ولتعلموا منها ما يجهله غيركم ، فتعكفوا عليه تقويماً وتثقيفاً، ولينفرد كل منكم – بنى – بذلك فى خويصة نفسه ....."[9].

أما مواعظ الشيوخ والأتقياء للملوك والأمراء فكثيرة، وهى تعد من قبيل الجهاد بالكلمة باعتبارها كلمة حق عند سلطان جائر. فمثلاً: ذكر ابن خَلِّكان: "أنه لما حج هشام بن عبد الملك فى أيام أبيه، فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان الشام، فينما هو كذلك إذ أقبل سيدنا زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله عنهم أجمعين، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً، فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام: مَنْ هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً فقال: أنا أعرفه، فقال الشامى: من هذا يا أبا فراس ؟ فقال[10]:

هذا الذى تَعرفُ البطحاء وطأته

والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحَرَمُ

هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهِمِ

هذا التقِىُّ النقِىُّ الطاهرُ العلم

إذا رأته قريش قال قائلها :

إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

يغضِى حياءً ويُغْضَى من مهابته

فما يكلَّمُ إلاّ حين يبتسم

الله شرَّفه قِدماً وعظَّمه

جرى بذاك له فى لوحه القلم

فليسَ قولكَ: مَنْ هذا بضائرِهِ

العُرْبُ تعرفُ مَنْ أنكرت والعجم

كلتا يديه غياثٌ عمَّ نفعُهما

تستوكفان ولا يعروهما عدم

سهلُ الخليقة لا تخشى بوادرُهُ

يزينه اثنان حسنُ الخلق والشيم

حمَّال أثقال أقوام إذا فدحوا

حلو الشمائل تحلو عنده نَعَم

ما قالَ لا قط إلاّ فى تشهده

لولا التشهد كانت لاءه نعم

أىُّ الخلائق ليست فى رقابهمُ

لأوَّليةِ هذا أوْ لهُ نعم

مَنْ يعرفِ الله يعرفْ أوَّلية ذا

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق، وأنفذ له زين العابدين اثنتى عشر ألف درهم، فردها وقال: مدحته لله تعالى لا للعطاء، فقال: إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها".

كما نذكر - أيضاً فى هذا الشأن - مواجهة سعيد بن جبير ﷺ للحجاج بن يوسف، قال له الحجاج: ما اسمك ؟ قال: سعيد بن جبير، قال: بل أنت شقى بن كسير، قال: بل كانت أمى أعلم باسمى منك، قال: شقيت أمك وشقيت أنت، قال: الغيب يعلمه غيرك، قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى، قال لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً ....."[11].

3- القصص والحكايات والمكاشفات:

إن القصة أو الأقصوصة على أصح تعبير هى إحدى الأجناس الأدبية التى كثيراً ما يستخدمها الصوفية فى الإعلام والدعوة إلى الله تعالى. (وسئل الجنيد: ما للمريدين فى مجرى الحكايات ؟ فقال: الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب المريدين، فقيل له: هل لك فى ذلك شاهد ؟ فقال: نعم، قوله عز وجل: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ - هود: 120)[12].

فالقصة تستوعب الحكاية التى يسردها المريدون عن شيوخهم، كأن يقولوا قال الشيخ الفلانى، أو يُحكَى عن سيدى فلان. وحكايات الشيوخ كثيرة، جاءت

فى حكمهم ومواعظهم كقول الشيخ أبى على الدقاق: "من زين ظاهره بالمجاهدة حسَّن الله سرائره بالمشاهدة"[13]. وتشمل الحكاية ما يذكره المريدون من معجزات الأنبياء و كرامات الأولياء التى تعج بها مجالس الصوفية؛ ومنهم من أفردها بالتأليف مثل كتاب (كرامات الصحابة) لعاشور، وكتاب (روض الرياحين) لليافعى، وكتاب (جامع كرامات الأولياء) للنبهانى، وغيرها.

والصوفية فى كل قصصهم وحكاياتهم إنما يقصون كما يصفهم الشيخ أبو سعيد الخراز بقوله: "لسان الظاهر يكلم أجسادهم، ولسان الباطن يناجى أرواحهم".

4- الشعر:

وهذا نمط آخر من وسائل الدعوة الصوفية. إن أعظم ما يميز الإعلام الصوفى فى الدعوة إلى الله تعالى من قِبَل الصوفية هو ولعهم واهتمامهم الواسع بالكلمة المنظومة - أى الشعر. فالشعر بما يمتاز به من حرية الانطلاق عبر الأخيلة والصور الفنية الشفيفة، واقتحام الغامض من دهاليز المعانى الغامضة لهو خير ما يسعف الصوفى عندما ترقّ العبارة ولا يبقى سوى الإشارة. فعبر القصيدة التى تحررت من كثافة الكلمات وسبحت فى غيوم الإشارات يتسنى للصوفى أن يسكب عصارة تجربته الوجدانية مستخدماً فصاحة البيان لخطاب العامة، ومعميات الرمزية للتعبير عن تجربته الذاتية المضنون بها على غير أهلها؛ فالصوفى صاحب خطاب عام، كما أنه صاحب خطاب خاص، شأنه فى ذلك شأن أرباب كل صنعة يحفظونها من سرقة المبطلين وتغول المنتحلين ومكر المندسين.

فمن رقائق الأشعار الصوفية نجد قول الشيخ عبد الغنى النابلسى[14]:

نبعت علوم الله من أفواههم
وبهم تدلى الغيب حين لهم دنا
نالته أقوام بصدق قلوبهم
فى حبه وبه لقد بلغوا المنى
نحن الذين تكاملت أوصافنا
وبفقرنا ثبتت لنا صفة الغنى

لقد تناول الشعراء الصوفية كل مقامات التصوف وأركانه وشروطه وثمراته بالحديث عنها شعراً، وجاءوا بروائع القصائد ولا سيما فى الحب الإلهى وحبهم للرسول ﷺ وآل بيته الأبرار وصحابته رضى الله عنهم أجمعين. ويضيق بنا المجال إن أردنا حصر أشعارهم، ولكن أشهر ما يتغنى به المعاصرون هو بردة الإمام البوصيرى فى مدح النبى ﷺ والتى جاء فيها:

فهو الذى تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيباً بارى النسم
منزه عن شريك فى محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف

وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

إلى أن يقول:

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته

قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر

وأنه خير خلق الله كلهم

كما أن هنالك همزية الإمام البوصيرى فى مدح الرسول ﷺ والتى قال شارحها الدكتور عبدالعظيم المطعنى: " ولا أظنك تختلف معى إذا قلت أن التشبيه الذى فى قول الناظم:

إنما مثلوا صفاتك للنا س كما مثل النجوم الماء

شعلة مضيئة من شعل البيان الآسر، وصورة مشرقة من صور الخيال المبدع، ولو أن الفرزدق الذى (طرب) عندما سمع بيت لبيد:

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر يجد متونها أقلامها

أتاح له القدر أن يسمع هذا البيت - وهو خبير بصياغة الشعر – لرآه أولى (بالطرب) من بيت لبيد"[15].

ومن قصائد الصوفية وأشعارهم تعلَّم الناس الكثير عن الإسلام وعن التوحيد، وعرفوا السيرة النبوية الشريفة وأخلاق النبى ﷺ، ووقفوا على مناقب آل البيت والصحابة وسيرة السلف الصالح ؛ فكان الشعر الصوفى مدرسة للإرشاد، وكان أشبه بالشعر التعليمى (**didactic verse**) الذى نظم به العلماء قواعد الاعتقاد والتوحيد وقواعد اللغة العربية. فـ(المدحة) والقصيدة الصوفية – ولا سيما تلك المكتوبة باللغة العامية – سهلة الفهم لعامة الناس، وهى بهذا السبب أكثر فعالية فى نشر السيرة النبوية وعلوم الإسلام.

6- الكتاب الصوفى:

فيما ذكرنا أنفاً إن الصوفية أتخذوا عدة وسائل إعلامية لنشر التصوف. وهنا نحن نفرد للكتاب حيزاً خاصاً رغم أننا أوردناه فى طى الشعر والقصة والحكم والمواعظ والوصايا وغيرها من المكتوبات والمقروآت. فالصوفية قد اهتموا كثيراً بالكتابة . فهم قد كتبوا فى الطريق الصوفى (آدابه، شروطه، مقاماته، أحواله، مصطلحاته، .....) وكتبوا فى أحوال النفس ومقاماتها، وكتبوا فى علاج أمراض القلوب كالحسد والكبر والعجب. ولهم فى كل هذه الكتابات باع طويل ونهج فريد فى معالجة هذه الموضوعات، فكانوا بذلك إضافة حقيقية للتراث الإسلامى.

وأشهر من كتب منهم: الحارث بن أسد المحاسبى (الرعاية لحقوق الله) ، الكلاباذى (التعرف لمذهب أهل التصوف) ، أبو طالب المكى (قوت القلوب)، السراج الطوسى (اللمع)، القشيرى (الرسالة القشيرية)، الغزالى (إحياء علوم

الدين)، الشيخ عبد القادر الجيلانى (الغنية)، السهروردى (عوارف المعارف)، ابن عربى (الفتوحات المكية)، أحمد زروق (قواعد التصوف)، الشعرانى (اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر)، وغيرهم من الصوفية.

ويطل علينا اليوم شباب من الصوفية آلوا على أنفسهم حمل راية التصوف من الآباء، فكتبوا بهدف تعريف الناس بالطريق الصوفى والدفاع عنه، نذكر من هؤلاء الكتاب المحدثين الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله الصائم ديمه، وهو قد كتب (القول الصحيح فى مشروعية المديح، النجوم الزاهرة فى جواز الإحتفال بمولد بسيد الدنيا والآخرة ﷺ، سياحة روحية فى منهج الصوفية، التحقيق فى أفعال أهل الطريق، الأدب الرفيع فى ذكر السيادة عند اسم النبى ﷺ ذى القدر الرفيع، وغيرها من الكتب والرسائل).

أما المناقب والتراجم والسير فقد زخرت بها مؤلفات الصوفية، فكتب محمد بن سعد (الطبقات الكبرى)[16]، أبو عبد الرحمن محمد بن حسين السلمى (طبقات الصوفية)، سراج الدين عمر بن الملقن (طبقات الأولياء)، عبد الوهاب الشعرانى (الطبقات الكبرى)، أما الكاتب السودانى محمد النور ضيف الله فكتب رائعته التوثيقية (كتاب الطبقات).

وقد شحذت هذه الكتابات الصوفية إلهام الأدباء ولا سيما المسرحيين منهم فأنتجوا الروائع الأدبية التى تستند على سيرة أعلام الصوفية مثل مسرحية الشاعر صلاح عبد الصبور: (مأساة الحلاج)، وأنتجت المسارح ودور السينما

أفلام الأبطال الصوفية مثل: (عبد القادر الجزائرى)، (ثورة المهدية فى السودان) وغيرها.

ونُذِّكر هنا مرة أخرى برائعة ود ضيف الله السودانى (كتاب الطبقات) والذى سجل فيه سيرة سبعين ومائتى شخصية سودانية من صوفية وصالحى عهد مملكة الفونج بسنار (1504 – 1823م). إن هذه التراجم التى وردت فى كتاب الطبقات لود ضيف الله قد أصبحت مصدر إلهام لكثير من الكتاب السودانيين، فكتب الدكتور يوسف عايدابى: (حصان البياحة)، خالد المبارك: (ريش النعام)، الطيب صالح: (عرس الزين)، دكتور محمد عبد الحى: (العودة إلى سنار). كل هؤلاء الأدباء وجدوا عناصر القصة والرواية والمسرحية والدراما فى كتاب الطبقات لما حواه الكتاب من (الصفة التراكمية التى تؤدى بدورها إلى خلق مادة تتطور مصادرها وقضاياها)[17]. فالكتاب يحوى كثيراً من فن السرد والروى والحوار الدرامى ورسم الشخصيات الأمر الذى يوفر مدخلات ثرة للعمل الأدبى والفنى.

هوامش الفصل الأول: (الوسائل الإعلامية المألوفة)

1- خلاوى تحفيظ القرءان الكريم، نهج الخلوة – البرنامج اليومى للخلوة؛ أنظر: موقع الشيخ دفع الله الصائم ديمه على الشبكة العنكبوتية العالمية . **WWW. Alsaim . net**

2- عثمان (تاج السر الحسن): لمحات من تاريخ سلطنة الفونج الاجتماعى، ص .160

3- ابن عجيبة الحسنى (العارف بالله تعالى أحمد بن محمد): إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، ص .177

4- نفس المصدر السابق، ص 26.

5- القشيرى (العلامة العارف بالله تعالى أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابورى): الرسالة القشيرية، الفصل الثانى، شرح المقامات، 43 التوحيد، .299

6- الجيلانى (سيدى الشيخ القطب أبو صالح عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحى الزاهد): الفتح الربانى والفيض الرحمانى، المجلس الثامن عشر، فى جهاد النفس والشيطان، ص .91

7- نفس المصدر السابق، المجلس الثالث والأربعون، فى النفس الأمارة، ص 161.

8- ابن عربى (أبو عبد الله محى الدين محمد بن على بن محمد الحاتمى): الوصايا، ص .239

9- الحفيان (الشيخ عبد المحمود بن الشيخ الجيلى بن الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم): الوصية، ص .38

10- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 6، ص 95. وانظر الأصفهانى (أبو نعيم أحمد بن عبد الله): حلية الأولياء، ج 3، ص 139. (نحن فى هذا الكتاب نذكر جزءاً يسيراً من القصيدة، فهى طويلة ورائعة).

11- نفس المصدر السابق، ج 2، ص 372.

12- القشيرى (العلامة العارف بالله تعالى أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابورى): الرسالة القشيرية، الفصل الثانى، شرح المقامات، 24 الإرادة، ص 203.

13- نفس المصدر السابق، الفصل الثانى، شرح المقامات، 2 المجاهدة، ص 98.

14- النابلسى (عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى): ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، دار الجيل، بيروت.

15- المطعنى (دكتور عبد العظيم): الهمزية فى مدح خير البرية، عرض وشرح وتحليل، ص 13، (بتصرف).

16- حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطينى): كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، علم الطبقات، ج 2، ص ص 1096 – 1104.

17- عثمان (دكتور عثمان جمال الدين): دراسات فى كتاب الطبقات، ص 114.

الفصل الثانى: وسائل صوفية مبتكرة

إن كان مفهوم الإعلام الأساسى هو إيصال المعلومة لشخص ما، فإن الصوفية قد تفردوا بطرق إعلامية تخصهم فى هذا المضمار، فأتوا بالعديد من الوسائل الإعلامية المبتكرة التى لم يسبقهم إليها أحد ولا استطاع غيرهم أن يجاريهم فيها. نذكر منها ما يلى:

1- الصحبة:

إن الصحبة هى إيصال المعلومة عن طريق مصاحبة التلميذ لشيخه والاقتداء به. إن التصوف مداره العمل والسلوك، ولهذا كانت القدوة العملية من أهم ركائزه. وهذا ما جاء به القرءان الكريم، فقال تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ – الأنعام: 90. ولذات الحكمة فقد جعل الله عز وجل الرسالة الإسلامية عن طريق مصاحبة النبى ﷺ لسيدنا جبريل عليه السلام ومتابعة توجيهه بانزال الوحى وتعليم الرسول ﷺ تعليماً عملياً – أحياناً – كما رأينا فى تعليم الصلوات الخمس[1]. والصوفية يعتبرون سيدنا جبريل عليه السلام شيخاً للرسول ﷺ (فما الشيخ إلاّ معلم)، والصحابة رضى الله عنهم أخذوا العلم والسلوك عن النبى ﷺ وهم يطبقون فى ذلك قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ – الأحزاب: 21. فأصبحوا بذلك تلاميذ النبى ﷺ؛ وذلك لأن العلم عند الصوفية هو علم صدور وليس علم سطور، أى علم تلقين وتربية عملية وإرشادات تصدر من صدور مفعمة بالإيمان وقلوب عامرة بحب الله تعالى ورسوله ﷺ، قال تعالى:

﴿بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم﴾ - العنكبوت: 49، وليس مجرد علم أوراق، وفى هذا يقول الشيخ الشبلى[2]:

تسربلت للحرب ثوب الفرق
وهمت البلاد لوجد القلق
ففيك هتكت قناع الهوى
وعنك نطقت لدى من نطق
إذا خاطبونى بعلم الورق
برزت عليهم بعلم الخرق

وعلم الخرق هو كناية عن المعرفة الصوفية التى تفاض على قلب مَنْ لبس خرقة الصوفية وصفا قلبه. وخرقة الصوفية هى زيهم وجلبابهم الذى يُكْسَى به من تزيا بزيهم الداخلى أولاً. وهذا هو الذى جعل الصوفية يفرقون بين علمين: علم الرواية وعلم الدراية؛ فعلم الرواية هو علم النقل، أى العلم الشرعى من الكتاب والسنة، ووسيلة الاتصال فى هذا العلم هى الاستماع والاطلاع على الموروث من الفكر الإسلامى؛ بينما علم الدراية هو العلم اللدنى، أى العلم الربانى ووسيلة الاتصال فيه هى الكشف والإلهام والفراسة.

أما صحبة أرباب الطريق الصوفى فقد عبَّر عنها الشيخ أبو مدين التلمسانى بقوله[3]:

مالذة العيش إلاَّ صحبة الفقرا

هم السلاطين والسادات والأمرا

فاصحبهمو وتأدب فى مجالسهم

وخلِّ حظك مهما قدموك ورا

واستغنم الوقت واحضر دائماً معهم

واعلم بأن الرضا يخص من حضر

وفى معنى المجالسة والمصاحبة قال الشيخ أبو الخير الأقطع: "ما بلغ أحد حالةً شريفة إلاّ بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين"[4]. كما قال صاحب إيقاظ الهمم: "والله ما أفلح من أفلح إلاّ بصحبة من أفلح"[5].

إن الصحبة تمنح المصاحِب المشاهدة، ويأخذ الطبع فى اكتساب ما يشاهد بحكم غلبة حدوث وتكرار الفعل من جهة المقتدَى به. فبمصاحبة الأخيار تفيض على مصاحبيهم الأنوار، وينعكس طبع الشيخ على طبع المريد فينتقل الأخير من ظلمات الأغيار إلى مقامات الأنوار، وقد قيل مَنْ جالس جانس، ومَنْ جانس آنس. وفى هذا الإطار جاء حديث الجليس الصالح الذى هو كحامل المسك: "إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة"[6]. وفيما يفيد معنى هذه الصحبة قال رسول الله ﷺ لأبى جحيفة: "جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء ، وخالطوا الحكماء"[7]. أى أنه لا بد من صحبة أهل الكمال. فهذا نوع من الإعلام انفرد به الصوفية عن سائر الفرق الإسلامية الأخرى، فهو أسلوب يفتح باب العلاقة الخاصة والشخصية بين

الداعى والمدعو فتقوى رابطة الاتصال لحسن البث من جهة الشيخ وحسن الاستقبال من قبل المريد، وهنا يحصل الإعلام الفردى والشخصى. كما أن الصحبة تتم فى رباط، أو خانقاه، أو مسيد أو زاوية تجمع إخوة الطريق مع شيخهم، وتقوى فيهم روابط الإخاء وعلاقات المجتمع، فتتسع دائرة القدوة السلوكية، وتتنوع وسائط الخطاب وتتعدد وسائله وأساليبه، ويتم بذلك الإعلام الجماعى أو الاتصال الجماهيرى أو الإعلام الذى يصطلح عليه عند أهله فى وقتنا هذا بعبارة: (الاتصال المواجهى **face to face communication**). وقد فطن إعلاميو هذا العصر لهذا النوع من الاتصال فركّزوا فيه على الخطب واللقاءات والندوات والمحاضرات. غير أن هذه الخطب والندوات لا توجد فيها الصلة والعلاقة الفردية المباشرة بين الداعى والمدعو كما هو متوفر فى صحبة الصوفية.

2- حلقات الذكر (السماع):

لعل أكثر ما انفرد به التصوف عن بقية الفرق الإسلامية الأخرى هو اتخاذ الصوفية المدائح والقصائد المصحوبة بالإيقاع كنوع من الذكر ، فعندهم ما يسمى الذكر بالنوبة والطار، وهى آلات إيقاع تصاحب القصائد والأشعار التى يترنم بها الصوفية.

إن الإنشاد الدينى نجده فى أشعار الشعراء المسلمين – كما ذكرنا سابقاً – أمثال سيدنا حسان بن ثابت ﷺ، ونجده فى استقبال أهل المدينة للرسول ﷺ وهم يترنمون[8]:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

ونجده فى أمر الرسول ﷺ أن يغنوا للأنصار فى زواجهم: " أتيناكم أتيناكم، فحيانا وحياكم"[9]، بل نجده فى ترنم النبى ﷺ وهويعمل فى حفر الخندق بكلمات ابن رواحة:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا[10]

ونجده فى حداء أنجشة وسوقه القوارير؛ ونجده فى لعب الأحباش والسيدة عائشة رضى الله عنها تشاهد رقصهم.

ومن هذه الشواهد اتخذ الصوفية حلقات الذكر ليترنموا بوجدهم بالذات العلية وحبهم الرسول ﷺ وعترته وصحابته وصالحى الأمة المسلمة. ففى إنشادهم من المعانى ما يزكى روح السالك ويذكره بالقدوة الحسنة وينمى فيه المعانى الدينية الطيبة، فيتمايلون على سبيل ذكر الله قياماً وقعوداً.

يسمع الناس صوت النوبة والطار فيتجمعون لمشاهدة الحلقة والذكر الجماعى، فتكون هذه الأذكار خير دعاية وأطيب وسيلة للإعلام. فقد كانت النوبة أهم وسيلة لجمع قدامى قبائل إفريقيا وإدخالهم فى ربقة الإسلام، وهى الآن من أهم الوسائل التى يجذب بها الصوفية أناس أسكرتهم المدنية الغربية وخدرتهم شهوة الاستهلاك المترف واكتناز الذهب والفضة، فلا سبيل إلى إيقاظ أحاسيس

الخير النائمة فى داخلهم إلاّ بصوت نوبة صارخة، أو تهليلة جماعية مدوية. فكان الصوفية بذلك هم أول من استخدم ونبه على أهمية (الوسائل السمعية والبصرية **audio-visual aids**) فى عملية التعليم والإرشاد. أما الوجد الذى يحدث من بكاء وتمايل ودوران فهذا هو رقص الأشباح عندما يهب من ربوع الحبيب نسيم فواح ؛ فهى حركة جسد ينقاد إلى روح نهلت من كأس المحبة حتى طربت، أى كما قال فى هذا الشأن الشيخ أبو مدين التلمسانى[11]:

يحركنا ذكر الأحاديث عنكم
ولولا هواكم فى الحشا ما تحركنا
فقل للذى ينهى عن الوجد أهله
إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا
تراقصت الأشباح يا جاهل المعنى
أما تنظر الطير المقفص يا فتى
إذا ذكر الأوطان حن إلى المغنى
ففرج بالتغريد ما بفؤاده
فتضطرب الأعضاء فى الحس والمعنى

فبكاء الصحابة لتلاوة القرءان الكريم، وبكاء سيدنا أبى بكر ﷺ عندما أخبره النبى ﷺ باصطحابه فى الهجرة إلى المدينة، وحجل سيدنا جعفر ﷺ وسيدنا

على ﷺ وسيدنا زيد ﷺ عندما أثنى عليهم النبى ﷺ بقوله للأول: "أشبهت خَلْقى وخُلُقى"؛ وللثانى: "أنت منى وأنا منك"، وقوله للثالث: "أنت أخونا ومولانا"[12]؛ كل هذه شواهد على طرب الروح الذى يحرك البدن، بل إنما هى دائرة اللغة تكتمل إذ بدأ الإنسان بالرسم، أى رسم (الأشكال الإيضاحية **grapic sketches**)، والإشارة، والحركات، وانتهى بنفس الرموز اللغوية عندما عجز عن نقل الفكرة فأومأ برأسه، وهزّ كتفه أو صفق بيديه أو أحنى رأسه أو حجل برجله.

أما عن نمط النغمات فهنالك الإيقاع السريع الحركة، ويسميه الصوفية (الإيقاع الحربى) نسبة لسرعة الحركة فيه وهو أشبه ما يكون بسلم الإيقاع الإفريقى ذى الحركة الوثابة، فعلى سبيل المثال نذكر قصيدة جاء فيها الآتى[13]:

إنما المخلص عندى فى ولائى ووداى
من يوالى من أوالى ويعادى من أعادى

وعلى نفس البحر العروضى نسج شاعر آخر[14]:

قولا لسكان الحمى تحول الدمع دما
فكل شهد بعدكم قد صار مراً علقما

وهنالك الإيقاع البطئ (التبريدة) وفيه يستريح الذاكر من جهد حركة الإيقاع الحربى وذلك بإبطاء حركة الذكر، فنذكر على سبيل المثال قصيدة الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله الصائم والتى مطلعها [15]:

ما بشيقنى غير ليم السلفوا أخوان فى الله قط ما اختلفوا

يلاحظ إكثار الصوفية المتأخرين – فى أى بلد – من نظم الأشعار باللغة الدارجية، أى لغة البلد المحلية وذلك لأن التصوف دعوة متغلغلة فى الوسط الشعبى. فبقدر ما كان التصوف دعوة صفوية فهو دعوة شعبية. نقول صفوية لأنه ينزع إلى الترقى الروحى الذى هو من الدقة بمكان حيث لا يرقاه إلاّ أهل الأسرار والعرفان؛ ونقول شعبية لأنه ينبنى على البساطة الفطرية للدين الإسلامى بعيداً عن تعقيدات الفقه أو التوحيد. ولهذا نجد القصيدة الصوفية سهلة العبارة، تخاطب العامى، وهى مبانى سهلة الاخترق للعامى؛ حتى إذا ولج هذا العامى مبنى القصيدة وجد فيها المعنى العميق فترتقى روحه من الشعبية إلى الصفوية – وكل بحسب استعداده الروحى والعقلى.

ومِن الكتَّاب مَنْ وقف على المؤثرات الاجتماعية لحلقات الذكر فرأى فى هذه الحلقات (تذويب الفوارق الاجتماعية وإزالة العصبيات العرقية وخلق مجتمع موائم متناغم يحل فيه التآزر بدل التنافر، والوئام بدل الخصام، واستبدلت فيه عصبية القبيلة بإخوة الطريقة، وخلقوا حركة مجتمع مهتدية بالدين؛ وأيضاً فيها ارتباط اجتماعى بين الجماعة لمعرفة أحوال – المريدين – بعضهم البعض، والتشاور والتدارس فى أمور دينهم داخل إطار ونسق الطريقة ودورها ووظيفتها ....)[16].

وحلقة الذكر هذه تكاد تقترب من الإعلام المسرحى باحتوائها على بعض الأجناس الأدبية واللمسات الفنية كالحركة والإنشاد الملحمى الجماعى وصوت

آلات العزف والديكور المتمثل فى الزى والملابس واستخدام الألوان كبديل لغوى للتعبير باللون والرمز، وكل ذلك من مظاهر الدراما الشعبية أو الفنون الشعبية ومكوناتها من حركة وإيقاع وترانيم وشعر، وهكذا يضاف إلى المسرح الإسلامى لون خاص يسمى (الدراما الصوفية).

3- إحتفالات المواسم:

ومما ابتكره الصوفية من وسائل الإعلام هو إقامة الاحتفالات الدينية، مثل الاحتفال بالمولد النبوى الشريف والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، ومنهم من يحتفل أيضاً بليلة النصف من شعبان التى تم فيها تحويل قبلة الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المكرمة. ففى احتفال الصوفية بالمولد النبوى الشريف نجدهم يتدارسون القرءان الكريم وعلومه وهديه، ويترنمون بالقصائد فى مدح النبى ﷺ، كما يقرأون قصة المولد والتى هى سرد مبسط لسيرة الرسول ﷺ[17]، فمن أشهر هذه الموالد نجد كتاب (عقد الجوهر فى مولد النبى الأزهر ﷺ)[18]، والذى يعرف فى السودان باسم (مولد البرزنجى) نسة لمؤلفه السيد جعفر بن حسن البرزنجى؛ وقد جاء فى بدايته:

"أبتدئ الإملاء باسم الذات العلية * مستدراً فيض البركات على ما أناله وأولاه * ..... وأنشر من قصة المولد النبوى الشريف برود حساناً عبقرية * ناظماً من النسب الشريف عقداً تحلى المسامع بحلاه".

ومن الشيوخ من كتب المولد فى ثوب شعرى كما فعل الشيخ محمد المجذوب فى السودان ، ومولده يسمى (العقد المنظم فى ذكر مولد الرسول المكرم ﷺ) وقد جاء فى مطلعه[19]:

فى الذكر بسم الله تُوجَتْ السور وبه أتوج خيرَ ميلاد أغر
فالحمد والشكر الجميل مع الثنا لمن يطيب بذكره نشرَ السِّيَر

إلى قوله:

هذا وأملى مولداً حسن السير بإعانة المولى بنظم مبتكر

ومن موالد الطريقة القادرية فى السودان نجد: "مولد خير الوجود المسمى بفتح الودود" تأليف سيدى الشيخ عبد المحمود بن الشيخ الزاكى، وفيه يجارى مؤلفه مولد البرزنجى، فيقول[20]:

"الحمد لله الذى أتقن الأشياء كلها بحكمته البديعية * فهو الذى لا إله غيره ولا معبود سواه * والصلاة والسلام على عين العناية الربانية * سيدنا محمد الذى أضاء الوجود بنور محياه * .....". ومن موالد الطريقة القادرية السمانية فى السودان نجد كتاب المولد المسمى: (رياض الخيرات فى مولد سيد السادات) لمؤلفه الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم، والذى يبدأ كما يلى:

(أَحْمَدُ مَنْ أبرزَ مِنْ نورِ جمال حضرته الذاتية * نوراً أُقْتُبِسَتْ منه حقائقَ الكائنات .....)[21].

ومن موالد الطريقة التجانية نجد المولد المسمى (عنوان مطالع الجمال فى مولد إنسان الكمال) وقد جاء فيه: "أستفتح باب الكرم والجود بأعظم أسماء الذات العلية * وأستعين بقوة الملك المعبود العزيز المتعال * ..... مستمطراً أيادى الكرم والجود من فيض الرحمات الإلهية * مهتدياً بسرج عنايتها إلى التقاط درر تنظم فى مولد إنسان الكمال"[22].

وكان لمثل هذه الموالد أبلغ الأثر فى تعليم دهماء القوم سيرة الرسول ﷺ وزرع محبته فى دواخلهم، فأدى المولد بذلك رسالة إعلامية وتعليمية فائقة الانتشار والذيوع حتى فى ربوع البسطاء الذين ضعف حظهم من التعليم.

وفى ذات السياق من الاحتفالات الصوفية نجد ما يُعْرَف بالحوليات، وهى احتفالات تقام سنوياً (بعد كل حول، أى سَنة) إحياءً لذكرى انتقال الصالحين عن دار الفناء إلى دار البقاء. وفيها يتم تلاوة القرءان الكريم وإنشاد القصائد والمدائح وسيرة المحتفى بذكره ومناقبه التى تسرد على سبيل القدوة الحسنة. ففيها يتم استرجاع النموذج القدوة وحفظ حقوق من أسهم فى نشر الدين الإسلامى وتوعية المجتمع. وقد رأينا سابقاً توفر هذا النموذج فى القدوة الحية المتاحة فى صحبة المريد شيخه. وهذه النماذج الصوفية الإرشادية تخرج من مشكاة التنويه بالقدوة التى وردت فى القرءان الكريم بقوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ - الأحزاب: 23.

فها هو القرءان الكريم يحتفل بسيرة الماضين والباقين من حملة مشاعل النور الإسلامى. فهذه الحوليات ما هى إلاّ حشد دعوى ومهرجان إعلامى كبير يحضره الجمع الغفير من المريدين والضيوف والزوار.

4- الإعلام بالملابس والشعارات:

لقد اشتهر الصوفية بلباس الخرقة، أى جبة الصوف. بل ذهب بعض الدارسين إلى أن التصوف مأخوذ من لبس الصوف، ولبس الصوف عندهم كناية عن الزهد والعزوف عن ملذات الحياة. وقد أثر عن الرسول ﷺ أنه لبس الصوف؛ عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم وعليه جبة رومية من صوف، ضيقة الكمين، فصلى بنا فيها، ليس عليه شئ غيرها"[23]؛ كما أمر ﷺ بلبس الصوف، فعن أبى أمامة الباهلى ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان فى قلوبكم"[24].

ويعتقد القوم أن سالك الطريق الصوفى ينبغى عليه أن يميت نفسه أربع موتات، منها الموت الأصفر وهو لبس المرقعات أو الجبة أو الخرقة التى تدل على موت شهوة الملابس الفارهة والتفاخر ببهرج الحياة وزينتها. فذروة سنام التصوف هو الزهد وحبس النفس وكبح هواها . وقد أشار الشيخ أبو الفرج ابن الطيب البغدادى إلى وعورة هذا المسلك وهو تربية النفس بمجاهدتها فقال: "يا هذا أول الطريق سهل. ثم يعقبه الحزن. فى البداية إنفاق السرور، وفى التوسط إنفاق النفس، فإذا نزل ضيف المحبة أملق المنفق"[25].

ومن الشارات الأخرى بخلاف الجبة نجد ملفحات الرأس والعمائم والطواقى والرايات وقصاصات الزينة – الحمام – التى تعلق فى مواسم الأعياد والاحتفالات. والجدير بالذكر أن كل أصحاب مدرسة صوفية لهم لون مميز فى راياتهم، فمثلاً للقادرية اللون الأخضر، وللأحمدية الأحمر، وللرفاعية الأسود، وللدسوقية الأصفر. فهذه الألوان تفيد تعدد المشارب والمناهج الإرشادية الصوفية. كما أن هنالك جبة ذات ألوان كثيرة تسمى (المرقعة) وهى جلباب من قطع ذات ألوان عديدة؛ فبجانب افادتها لتعدد المشارب فإن لهذه الألوان دلالات أخر مثل إلماحها إلى التلون فى الطوالع واللوائح والبواده والأحوال التى هى دائمة التلون والتغير بحسب الواردات والأذكار مما يعطى الإشارة إلى عدم الركون إلى الحالات والوقوف عند المنازل، فالسير إلى الله تعالى لا ينتهى، والأمر أخفى من دبيب النمل فى الليلة الظلماء، وإنما الأعمال بخواتيمها، ولون الختام هو لون القيام بعد البعث، ولا يخفى ما فى ذلك من شحذ لهمة المريد وتنبيهه إلى عدم الركون إلى رعونات النفس والأمن من مكر الله عز وجل.

وقد يقال لنا إن التصوف يقوم على الصدق والإخلاص والتجرد ونكران الذات وعدم التشوف والرياء، فلماذا ميَّزَ الصوفية أنفسهم عن الآخرين بالملابس ؟ فنقول إن الصوفية لا يلبسون ملابسهم المميزة هذه على سبيل التميز عن الآخرين والاستعلاء عليهم، فالمتعالى لا يلبس رث الثياب ولا يرتدى المرقع القديم؛ بل إنما هم فى لباسهم هذا يتمثلون بالسنة، فقد ثبت أنه كانت لرسول ﷺ راية سوداء وكانت له راية بيضاء ولبس العمامة الخضراء. فقد جاء فى الأثر:

"عن ابن عباس ﷺ أن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء ولواؤه أبيض"[26]. كما أن الملائكة التى حاربت مع المسلمين يوم بدر كانت مسومة، أى ذات سمات تعرف بها وهى العمائم. وكان الرسول ﷺ يعمم أصحابه للجهاد الأصغر، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال لأصحابه يوم أحد: "تسوموا فإن الملائكة قد تسومت، فأعلموا بالصوف فى مغافرهم وقلانسهم"[27]. والقوم الصوفية تيمناً بذلك لبسوا الخرقة وتلفحوا بالشال للجهاد الأكبر .

وقال الشيخ أحمد زروق: "لباس المرقعة أعذر على دفع الكلف وأذهب للكبر وأقرب للحق، مع الاقتداء بعمر ﷺ إذ لبسها مع وجود غيرها لصلاح قلبه ألا تراه حين ألبس غيرها قال أنكرت نفسى"[28].

إن لبس المرقعات هو الموت الأصفر – كما يسميه الصوفية. وقد سماه الشيخ الهجويرى: "إرتداء كفن الميت وصاحبه على قيد الحياة" [29]. فالمرقعة جبة تمنح للمريد بعد أن لا تكون له إرادة واختيار وتطلُّع إلى مقام دنيوى. فحينئذٍ تكون لمن لبسها لسان حال يدل على زهد صاحبها دون أن ينطق بلسانه، أى تكون إعلاماً داخلياً. أما من لبسها دون أن يصل إلى مقامها فقد لبسها على سبيل التبرك والتشبه والتيمن بأهلها، وحينئذٍ يكون لابسها لسان حال يعبر عن غير لابسها، أى يعبر عن مصدرها وهم أهل التصوف الحقيقى، وهذا إعلان ودلالة على القوم من خارجهم، أى ممن ظهر بالمظهر دون الجوهر.

فهذه الملابس والشارات هى شعار الصوفية. وهى بهذا تشكل الدعوة الصامتة بلسان الحال والإعلان البارد؛ أى هى إعلان بالصور والملصقات البشرية المتحركة – إن جاز التعبير.

5- القباب والأضرحة:

ومن وسائل الدعاية والإعلام الصامت نجد القباب التى تقام على أضرحة الأولياء والصالحين. فهذه القباب وهى تناطح السحاب تدعو المشاهد وتقول له فى صمت أن بداخلها رجالاً صالحين. فهذه القباب أيضاً قد حظيت باهتمام الكتاب الذين تناولوا دلالاتها المعمارية والجمالية بما تعكسه من طراز معمارى فريد، كما لها دلالات اجتماعية حيث يتجمع حولها الزوار. هذا بالإضافة إلى الدلالات الدينية[30].

وخلاصة ما يقال فى مضمار الإعلام الصوفى هو أن خاصة الصوفية قد تحدثوا وكتبوا وألفوا، لأن لديهم من العلم والمعرفة ما ينبغى تقييده.

أما عامة الصوفية فى كل وسائلهم الإعلامية – سواء المألوفة منها أم المبتكرة من عندهم – لا يعلنون عن أنفسهم عن عمد وقصد لهذه الدعاية والإعلان، فهم لا يدلون الخلق على أنفسهم، بل انهم أدلاء الخلق على الخالق. ولكن ما يبدر منهم من صور وملابس ورموز إعلامية ودعائية فإنما يصدر منهم على سبيل التلقائية. فمن لبس المرقعة منهم لبسها لكى يشبع حالة التواضع والزهد فى داخله، فيراها من يراها عليه دون قصد التشوف من لابسها. وهذه التلقائية فى البث الإعلامى هى التى تجذب للصوفى تلقائية القبول من المجتمع.

هوامش الفصل الثانى: (وسائل صوفية مبتكرة)

1- الزرقانى (محمد بن عبد الباقى بن يوسف بن أحمد بن علوان المصرى): شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك، 1 باب وقوت الصلاة، ج 1، ص 11، حديث رقم 1.

2- شرف (دكتور محمد جلال): التصوف الإسلامى ومدارسه ونظرياته، ص 202.

3- ابن علان (الشيخ أحمد): شرح الشيخ أحمد بن علان على قصيدة أبى مدين، ص 37.

4- القشيرى (العلامة العارف بالله تعالى أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابورى): الرسالة القشيرية، الفصل الرابع، أعلام التصوف، 18 أبو الخير الأقطع، ص 394.

5- ابن عجيبة الحسنى (العارف بالله تعالى أحمد بن محمد): إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، المقدمة، ص 8.

6- البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، 72 كتاب الذبائح والصيد، 31 باب المسك، ص 1195، حديث رقم 5534.

7- الهيثمى (الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 2 كتاب العلم، 8 باب فى فضل العلماء ومجالستهم، ج 1، ص 167، حديث رقم 519.

8- الزرقانى (محمد بن عبد الباقى بن يوسف بن أحمد بن علوان المصرى): شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلانى، خاتمة فى وقائع متفرقة حصلت فى الهجرة، ج 2، ص 165.

9- ابن ماجة (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى): سنن ابن ماجة، 9 كتاب النكاح، 21 باب الغناء والدف، ج 1، ص 613، حديث رقم 1900.

10- البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، 64 كتاب المغازى، 30 باب غزوة الخندق وهى الأحزاب، ص 846، حديث رقم 4106.

11- نور الدائم (الشيخ عبد المحمود الشيخ): شرب الكأس (ديوان شعر)، ج 2، ص 120.

12- العراقى (الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ابن أبى بكر): المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين للغزالى ، كتاب آداب السماع، ج 6، ص 197) وقال رواه أبو داود من حديث على بإسناد حسن.

13- الوزير لسان الدين بن الخطيب (محمد بن عبد الله بن الفقيه الخطيب سعيد السليمانى القرناطى): روضة التعريف بالحب الشريف، ص 637.

14- نفس المصدر السابق، ص 662.

15- الصائم ديمه (الخليفة الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله): مخطوط ديوان، وتسجيل صوتى لمدائحه وقصائده على شريط الكاسيت. (يشيقنى أى أشتاق إلى)، (ليم أى الانضمام إلى واللقاء ب)، (السلفوا أى الذين مضوا من السلف)

16- فضل الله (د. نصر الدين سليمان على): الوظيفة الاجتماعية لحلقات الذكر، ص 26.-30

17- الصائم ديمه (الخليفة الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله): النجوم الزاهرة فى جواز الاحتفال بمولد سيد الدنيا والآخرة ﷺ، ص 81-90. ذكر الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله الصائم ديمه فى كتابه هذا ما لا يقل عن أربعة عشر عالماً ممن ألفوا قصة المولد النبوى الشريف.

18- ود الكبيدة (عبد الرحمن محمد عبد الماجد): رحيق اللارنج فى شرح البرزنجى، ترجمة الإمام البرزنجى، ص 6.

19- المجذوب (الشيخ محمد المجذوب قمر الدين المجذوب): مجموعة المجذوب، ص 88.

20- السائح (الشيخ عبد المحمود الشيخ الزاكى): مولد خير الوجود المسمى بفتح الودود، تحقيق - نجل المؤلف - الشيخ الهادى الشيخ الدسوقى، ص 13. "وللشيخ الدسوقى – ابن

مؤلف هذا المولد – خلاوى لتحفيظ القرءان الكريم فى الخرطوم – السلمة، ويقوم على مشيختها الآن الشيخ الهادى بن الشيخ الدسوقى وخليفته".

21- نور الدائم (الشيخ عبد المحمود بن الشيخ): رياض الخيرات فى مولد سيد السادات، ص 1.

22- التجانى (السيد محمد بن السيد المختار الشنقيطى): مولد التجانى المسمى عنوان مطالع الجمال فى مولد إنسان الكمال، ص 10.

23- ابن ماجة (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى): سنن ابن ماجة، 32 كتاب اللباس، 4 باب لبس الصوف، ج 2، ص 1180، حديث رقم 3563.

24- الحاكم (الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى): المستدرك على الصحيحين، 1 كتاب الإيمان، ج 2، ص 123، حديث رقم 77.

25- الوزير لسان الدين بن الخطيب (محمد بن عبد الله بن الفقيه الخطيب سعيد السليمانى القرناطى): روضة التعريف بالحب الشريف، ص 370.

26- أبو نعيم الأصفهانى (أحمد بن عبد الله): حلية الأولياء، ج 3، ص 114.

27- ابن حجر العسقلانى (الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن على): الكافى الشافِ فى تخريج أحاديث الكشاف، (مطبوع على ذيل: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل للزمخشرى)، ج 4، ص 31.

28- زروق (الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى): قواعد التصوف، ص 76.

-29

Khan (Masood Ali) : An Introduction to Sufism،Origin،Philosophy and Development ، p26.

30- على (جمال مصطفى): القباب والأضرحة فى السودان، ص 16 – 19.

الباب الرابع: المشاكل والحلول

الفصل الأول: مشاكل الإعلام الإسلامى

الفصل الثانى: مشاكل الإعلام الصوفى

الفصل الثالث: حلول وتوصيات

الفصل الأول: مشاكل الإعلام الإسلامى

نسبةً لأننا تحدثنا عن الإعلام الإسلامى منفرداً عن الإعلام الصوفى، وإتماماً للفائدة سوف نتناول مشاكل الإعلام الإسلامى عامة، يلى ذلك الحديث عن المشاكل الخاصة بالإعلام الصوفى.

يواجه المسلمون اليوم عدة مشاكل فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية، ويعانون كثير العناء فى سبيل بناء الإنسان والمجتمع المسلم بناءً يتفق مع تعاليم ومبادئ القرءان الكريم والسنة النبوية الشريفة والتى هى بيان وشرح لهذا القرءان. ونحن هنا نركز على الأهم من هذه المشاكل. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد هذه المشاكل تتركز فى الآتى:

أولاً: التأثر بالإعلام الغربى:

وقد نبه الرسول ﷺ على هذه المشكلة الاجتماعية، فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم"، قلنا: يا رسول الله، آليهود والنصارى ؟ قال: "فمن ؟"[1]. فالعالم الإسلامى اليوم شديد التأثر بالغرب، يأخذ مادته الإعلامية والثقافية من دول الغرب الإلحادية. ساعد ذلك وجود الاستعمار الغربى فى بلاد المسلمين. فكان المستعمِر فى هذه البلاد العربية المستعمَرة يسيِّر دولاب العمل بالأفكار الغربية التى كثيراً ما تتصادم مع الفكر الإسلامى. فلأهمية الكلمة حرص المستعمر على مناهضة الإسلام بشتى السبل؛

فحاربه عن طرق التعليم العلمانى (غير الدينى)، والمسرح والتلفاز والصحف والوسائل الإعلامية الأخرى. ولكن للأسف بعد خروج المستعمر من البلاد الإسلامية ظل الاستعمار الفكرى موجوداً، ذلكم الاستعمار المتمثل فى تبنى أفكار الغرب من قِبَل المسلمين أنفسهم. وأخذ الإعلام – وهو بوابة الثقافة – بحظ وافر من هذه الأفكار الغربية. فمثلاً يظل المواطن المسلم فى كل تلفازات الدول المسلمة يشاهد أكثر من أربع مرات فى الأسبوع الأفلام الأمريكية التى تحوى الخبط والضرب وما لا طائل تحته من أخلاقيات الغرب. بالتأكيد نحن لا ندعو إلى مفاصلة الشعوب الغربية مفاصلة تامة. فمشاهدتنا إياهم من خلال كتاباتهم وأفلامهم السينمائية والتلفزيونية تتيح لنا معرفتهم على وجه ندرك به أفكارهم ودوافعهم وعاداتهم مما يجب أن نحترز فى تعاملنا معهم من سئ ما لديهم، ونأخذ منهم ما يفيدنا فى دنيانا ومعاشنا. ولكن أن يظل الفلم الأجنبى بأفكاره الهدامة أمام ناظرينا طيلة أيام الأسبوع فهذا ما نخشى منه على أبنائنا وبناتنا، لأن طبيعة وأفكار هذه الأفلام التى تعرض لأطفالنا لا تناسب معتقداتنا الإسلامية ولا عاداتنا العربية، فهى أفلام قوامها حشرات وحيوانات آلية فى صورة بشر. فهل يا ترى يقول لنا منتجوها أن الحيوانات تطور سلوكها وضارع سلوك البشر أم أن البشر تدهور سلوكهم وانحط إلى درجة سلوك هذه الحشرات والحيوانات ؟ ومما يؤسف له – أيضاً – أن هذه البرامج تظل معروضة على التلفاز مستغرقةً وقت الظهر والعصر والمغرب والعشاء دون أن نجد فيها تنبيهاً للطفل بنداء الصلاة، ولا حتى إيقـاف التشغيل لإعطاء هذا الطفل فرصةً يتدرب

فيها على الصلاة مدركاً أهمية هذه الشعيرة الإسلامية ! ومَنْ شاء التحقق مما نقول فليشاهد قناة التلفاز المسماة (**spacetoon**).

إن المردود السئ لبعض برامج الإعلام الغربى ولا سيما التلفاز قد شهد به شاهد من أهلها. (قال أحد الأطباء الأمريكيين فى جامعة كولومبيا: "إذا صح أن السجن هو جامعة الجريمة، فإن التلفزيون هو المدرسة الإعدادية لانحراف الشباب"، وهذا يعنى أن كثيراً من المجرمين تعلموا الجريمة من التلفزيون، فقد أظهرت بعض الدراسات العلمية الجادة فى إسبانيا أن 39% من الشباب المنحرفين تلقوا معلوماتهم التى استمدوها فى تنفيذ جرائمهم من التلفزيون)[2].

ثانياً: الفقر الإقتصادى:

إن المال هو العمود الفقرى الذى تبنى عليه الأمم دولاب حياتها، قال الشاعر:

بالعلم والمال يبنى الناس مجدهم

لم يبن مجد على جهل وإقلال

ونظراً لأن العالم الإسلامى شحيح الموارد المالية بسبب ضعف الخبرة الفنية والمالية لاستخدام الثروة المتاحة فقد أصبح تمويل الإعلام أمراً عسيراً. فالعالم الإسلامى اليوم يدور فى رحى ما يسمى بـ (الحلقة الشريرة المفرغة **vicious cycle**) والتى مفادها أن يوجد الفقر بسبب الجهل وعدم الخبرة الكافية لاستخدام الموارد المالية، ثم ينتج ذلك مضاعفة الجهل جراء الفقر الذى يحرم الأمة

من التعليم والتدريب اللازمين لتحقيق التنمية الاقتصادية وجلاء الفقر. فالوضع الاقتصادى الضعيف للقائمين على الإعلام دفع بدُور الإعلام من تلفاز وصحف ومجلات وغيرها إلى السقوط فى تبعية الحكومات وتسلط رجال الأموال. كما أنّ ارتفاع الأسعار فى مدخلات انتاج الكتاب قد رفع سعر توزيعه وأصبح الكتاب لا يصل إلى أيدى الغالبية العظمى من المواطنين، وبذلك انخفض عدد القراء. وباضمحلال أسواق القراءة كسدت تجارة الكتاب والإنتاج الإعلامى المكتوب. فما زال الراديو المخترع فى عام 1920م هو الوسيلة الإعلامية الأكثر ذيوعاً، "وهى وسيلة مازالت باقية كوسيلة جماهيرية فعالة"[3]. وأما الإعلام الإلكترونى الذى تستخدم فيه الأقمار الصناعية وغيرها من مستحدثات التقنية فهذا مطمح عزيز على الدول الفقيرة ، فحتى القمر الصناعى العربى تجده محدود الفاعلية نسبة لضعف المال والتقنية عند العرب.

كما أن هذا الفقر الاقتصادى هو الذى أضعف تمويل البحث العلمى الذى تقوم عليه نهضة الشعوب.

ثالثاً: التسييس:

إنه منذ نشوب الفرق الإسلامية، ومنذ تفرّق المسلمين إلى العديد من الطوائف والفرق سعت كل طائفة وفرقة إلى استلام السلطة وإمارة المسلمين وبالتالى التمكن من التحكم والسيطرة على الكلمة – مسموعةً ومقروءة؛ فأصبحت وسائل الإعلام – طوعاً أم كرهاً – بمثابة البوق الذى يردد آراء الدولاب الحاكم. وظهر فى مفاهيم الرقابة الصحفية ما يدعى بـ (سنسرة – مراقبة

- الصحافة والمطبوعات **press censorship**)، أى ضبطها وتوجيهها والرقابة عليها من قبل أجهزة الدولة الحاكمة. وفى مثل هذه الفترات يغيب الفكر الجاد ويكثر نشر مواد التسلية والترفيه مثل الرياضة والفن الهابط المحتوى والذى هو صورة من فن الغرب الملحد. ولذلك نجد أن معظم المنابر الإعلامية المسلمة قد انتقلت إلى بلاد الغرب، لا نقول بسبب ملكية الغرب لتسهيلات الطباعة فنياً ومادياً؛ ففى دول الإسلام من المال والفن ما يكفى لتمويل هذه الصحف المهاجرة. ولا نقول بسبب رعاية الغرب لهذه الصحف بوازع الحرية والديمقراطية، فلن يجد المسلم نصرة وتحناناً عند قوم يحادون الله ورسوله. ولكن هو نصب الفخ للإعلام المسلم ليقع فى براثن الغرب الذى يستغل هذا الإعلام لتكريس الانقسامات فى الدول المسلمة، ولتشجيع اختلاف الآراء بين المسلمين وتشتيت جمعهم. بل ربما خلقت هذه الرعاية الغربية للإعلام الإسلامى ربائب فى أحجار الغرب يستخدمها فى تغيير الحكومات المسلمة وإملاء السياسات الغربية على المسلمين.

رابعاً: اتساع الرقعة الجغرافية:

نسبةً لاتساع الوطن العربى والمسلم جغرافياً فإن إيصال المعلومة ليس بالأمر اليسير على الإعلام الإسلامى. فإنه برغم الثورة التكنولوجية فى وسائل الإعلام وتطور تقنية المعلومات بإدخال الحاسوب والشبكة العالمية المعلوماتية (الإنترنت **internet**) ، مما جعل العالم - كما يقولون - قريةً صغيرة يسمع ساكن طرفها الأول بما يحدث فى طرفها الثانى لحظة حدوث الحدث.

ولكن مع ذلك يظل ريف العالم الإسلامى غير قادر على الوصول إلى المعلومة بسبب عدم استطاعة إنسان الريف من امتلاك هذه الوسائل التقنية لأنه بالكاد يحصل على لقمة عيشه، كما أن إنسان الريف ليس بذى الوعى والثقافة التى تؤهله لاستخدام هذه الوسائل الحديثة.

خامساً: غياب المنهج الإسلامى المتكامل:

إن مشكلة غياب المنهج الإسلامى يعانى منها المسلم اليوم فى أوجه كثيرة من حياته: الصناعية، الزراعية، الثقافية، الاجتماعية والدينية. ولكن غياب المنهج فى الإعلام أكثر وضوحاً إذ أن الإعلام هو منبر صوت المسلمين. فإن كان صوت المسلمين غير واضح المعالم والآراء والمذاهب ماذا يسمع السامع سوى شذرات فكرية وآراء متضاربة. وهذا الضعف فى وضوح الرؤية الإعلامية يعزى بالطبع إلى تفرق المسلمين إلى هذا الكم من الشيع والفرق والطوائف. كما يرجع إلى ضعف الاجتهاد فى أوساط العلماء وعدم مواكبتهم لمستجدات العصر.

وفى إطار هذا التكامل المنهجى للإعلام يمكن الاستفادة من تجارب كل الفرق الإسلامية ولا سيما الصوفية إذ أن لديهم إضافة حقيقية بما ابتكروه من وسائل اتصال، ولأن إعلامهم يعتمد كثيراً على الصلة المباشرة مع المتلقى – كما علمنا فى فقرة "الصحبة" وهذا أنجع ما يكون فى تحقيق الغرض من الاتصال وهو كما يقول البروفيسور شمو عن هدف الإعلام: "إما تغيير سلوك المتلقى أو مواقفه"[4]. وهذا الهدف تنجزه الصلة المباشرة التى هى من أهم الوسائل الإعلامية المبتكرة لدى الصوفية.

إن غياب المنهج المتكامل خلق فى مجال الإعلام العديد من الفضائيات التى أنشأها أهلها دون تقيد بضوابط الدين والخلق القويم، الأمر الذى خلق فوضى إعلامية يقول فيها من شاء ما يشاء بالأسلوب الذى يشاء.

هوامش الفصل الأول: (مشاكل الإعلام الإسلامى)

1- مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى): صحيح مسلم، 47 كتاب العلم، 3 باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ج 4، ص 2054، حديث رقم 6(26669).

2- كتاب الأمة: إشكاليات العمل الإعلامى بين الثوابت والمعطيات العصرية، ص 48.

3- مجلة الحياة العلمية، العدد 11، مايو 2006م، ص 61 (نقلاً عن الاتصال الأساسيات والمهارات: تأليف بروفسور على محمد شمو).

4- نفس المصدر السابق، ص 61.

الفصل الثانى: مشاكل الإعلام الصوفى

فيما سبق من هذا الكتاب تعرضنا لبعض مشاكل الإعلام عند كافة المسلمين، ومنها ما هو بالطبع جزء من مشاكل الإعلام عند الصوفية، وذلك مثل شح المال وغياب الكوادر الفنية المؤهلة إعلامياً. غير أننا لا نجد التصادم مع الحاكم لأن الصوفية لايزجون بأنفسهم فى معترك السلطات والحكم، فرسالتهم تربوية إرشادية بوسائل الحسنى وليست عن طريق الوازع السلطانى. فالصوفية يربون الفرد ليكون له فى داخله من نفسه ما يزعه عن ارتكاب المحظور، وهذه هى التخلية، أى يخلون نفوسهم مما يرديها فى الهلاك؛ ولا يقفون عند ذلك، بل يحلون نفوسهم بفضائل الصفات وكمال الأخلاق، وهذه هى التحلية التى يتحدثون عنها باعتبارها تعقب التخلية.

ولكن للإعلام الصوفى مشاكل تخصه وحده باعتبار أن التصوف والصوفية فئة متميزة بين المسلمين بنهجها الإرشادى والإعلامى وبوسائل إعلامها الخاصة. فيمكننا أن نوجز ونجمل مشاكل الإعلام الصوفى فيما يلى:

أولاً: عدم فهم القارئ والمستمع للنص الصوفى:

إن من أشد المآخذ على الصوفية أنهم يشطحون فى أفكارهم. أى أن أقوالهم تعبر عن معانٍ يبدو فى ظاهرها خروجهم عن حد الشرع. ولكن ما نود أن نقرره هنا هو أن النص الصوفى يعتمد على المذاق الوجدانى والتجربة الشخصية

التى لا يفهمها إلاّ من ذاقها. فألفاظهم من علم الحال وليست على حد المقال، فقد قال الشاعر[1]:

ما يعرف الشوق إلاّ من يكابده

ولا الصبابة إلاّ من يعانيها

ولذا جاء الرمز عند الصوفية أحياناً كتعبير استهدف ستر مجالى الحق فى مراتب الوجود الأعلى بالرمز والإشارة وذلك إما بهدف صون السر، أو لقصور العبارة عن الإيفاء بما يختلج فى دواخل صاحب الحال.

إذاً يجدر بنا أن نذكر حقيقة لا ينبغى أن تعزب عن بال كل دارس للتصوف، وهى أنّ للتصوف ذاتية العطاء التى تفسح المجال على مصراعيه ليعبر كل صاحب حال عما يذوق من مواجيد وإدراكات؛ وهذا ما يفسر لنا التباين والاختلاف - ليس الخلاف- فى تعريفات المتصوفة للموضوع الواحد. إلاّ أن هذه الذاتية لا يلقى لها الحبل على الغارب ولا تترك منساقةً على أعنتها، بل ضابطها مرجعية السنة والاجتهاد التبعى وتأويلات ذوى الشأن – ولكل شأن رجال.

كما إن الصوفية – ضناً منهم على من ليس منهم – رمزوا إلى مقصودهم برموز متداولة بينهم فقط، وأحياناً لا يدركها إلاّ أكابرهم الراسخون فى التصوف. فهم لم يقلدوا جواهر علمهم من لا يستحقها ولا يفهمها، كما قال الإمام على زين العابدين ﷺ[2]:

إنى لأكتم من علمى جواهره
كيلا يرى ذاك ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم فى هذا أبو حسن
إلى الحسين ووصى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به
لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى
يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فمن لم يعلم علم الصوفية يشتط فى وصفهم بعبارات لا تليق بهم. فمثلاً إن بعض الناس ترجموا قول الشيخ محى الدين بن عربى ﷺ:

أدين بدين الحب أنَّى توجهتْ ركائبه فالحب دينى وإيمانى

ترجموا هذا البيت وشرحوه بأن الشيخ – وحاشاه – يعتقد جميع الأديان ويحبها، وأنه يعتقد فى حب الكل سواء كان هذا المحبوب كافراً أم مسلماً. غير أن الشيخ يشير إلى الآية: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ - آل عمران: 31. ولهذا سماه دين الحب، ودان به ليتلقى تكليفات محبوبه بالقبول والرضا والمحبة ورفع المشقة والكلفة فيها، لهذا قال: "أنَّى توجهت" أىْ أىَّ مسلك سلكت مما يُرضى نفسى أو لا يرضيها، بل هى كلها مرضية لقلبى ومحبوبة عندى: "فالحب دينى وإيمانى"، يعنى أنه ما ثم دين أعلى من دين قام على المحبة، وهذا مخصوص

بالمحمديين، فإن سيدنا محمد ﷺ مخصوص بين سائر الرسل والأنبياء بمقام المحبة الكاملة، ففى الحديث النبوى الشريف: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[3].

وإليك شاهد آخر من المعانى الصوفية الدقيقة، يقول الشيخ لسان الدين ابن الخطيب: "أعلم أن لطائف التوحيد أرق وأدق وألطف من أن تخرج بكثيف العبارة". ومصداقاً لقول ابن الخطيب سئل الإمام الجنيد عن التوحيد فقال: "سمعت قائلاً يقول[4]:

وغنى لى منى قلبى وغنيت كمل غنى
وكنا حيثما كانوا وكانوا حيثما كنا

كما لا ينبغى أن نتوهم الأفكار الخاطئة ونسوق بها الاتهام جزافاً ونرمى أناساً أتقياء بتهمة القول بالحلول والاتحاد، تفسيراً لعبارة: "كنا حيثما كانوا، وكانوا حيثما كنا". فإن لنا فى القرءان الكريم متسع من تبرئتهم. ففعل الله تعالى غير فعلنا، وفعله مهيمن على فعلنا، بلا حلول ولا اتحاد. قال تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ – الأنفال: 17. حيث أثبت الرمى للمخلوق ثم نفاه عنه. فحقيقة التوحيد عند الصوفية هى على حد ما جاء فى الآية الكريمة: ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ – الشورى: 11. قال سلطان الأولياء وقطب الصوفية الشيخ عبد القادر الجلانى فى عقيدة التوحيد: "سبحانه وتعالى . . لو كان شبحاً لكان معروفاً بالكمية؛ ولو كان

جسماً لكان متألف البَنِيَّة، بل هو واحد رداً على الثنوية . . صمد رداً على الوثنية . . لا مثل له طعناً على الحشوية . . لا كقوله رداً على من ألحد بالوصفية . . لا يتحرك متحرك إلاّ بإرادته رداً على القدرية لا تُضاهَى قدرته ولا تتناهى حكمته تكذيباً للهذيلية . . أنزل القرءان فأعجز الفصحاء فى نظامه إرغاماً لحجج المرداوية .. ألَّف بين قلوب المؤمنين وأضل الكافرين رداً على الهشامية . . يرى نفسه ويرى غيره ، سميع بكل نداء، بصير بكل خفاء رداً على الكعبية . . يُرى كالقمر لا يُحجب إلاّ من أنكر الرؤيا من المعتزلة. وكيف يُحجب عن أحبابه ؟ وكيف يفرح المجنون بدون ليلى العامرية"[5]. فتنزيه الله تعالى هو معتقد القوم. ووحدة الشهود هى اعتقاد القوم، وليس وحدة الوجود، أى أن تعبد الله كأنك تراه، أى ترى وتشاهد الكل من أفعاله. فالمقصود محدد المعالم وهو توحيد الله عز وجل، والله واسع، ولكن الوسيلة محدودة الفاعلية وهى اللغة التى لا تحيط بشئ من علم الله تعالى ولا سيما عند نطاق المشاهدة التى عبر عنها بـ "كأنك تراه" و "كأن" لا تعنى "قطعاً"، ولهذا يجئ خطاب العبد برمزية الشهود والعيان لا بقطعية اللغة واللسان، وكما قال الإمام السيوطى: "يُغْتَفر فى الوسائل ما لا يغتفر فى المقاصد"[6]. وخلاصة القول فى هذا المضمار أن كل ما خالف الشريعة لا يؤبه له ولا يعبأ به. ولكن يبقى السؤال: من الذى أحاط بأسرار الشريعة حتى يُنَصِّب نفسه ناقداً لكل ما قصر فهمه عنه ؟ قال تعالى: "ولا يحيطون بشئ من علمه إلاّ بما شاء" - البقرة: 255. وشاء ربك عز وجل أن يصطفى بعض الناس ويخصهم ببعض العلم مما لم يعلمه آخرون.

ثانياً: تسامح الشيخ مع مريده:

يظن بعض النقاد أن الشيخ يتسامح مع مريده تسامحاً فيه إفراط فى اللين وتفريط فى الدين. غير أن هذا التساهل من قبل الشيخ إنما يفسر على ضوء التدرج فى تربية المريد وأخذ المريد بخفض الجناح حتى لا تنفر نفسه مما لا يطيق ؛ قال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ - الشعراء: 215. فكان الشيخ دفع الله الصائم ديمه (فى السودان) – رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه – يقول: "لو عاملنا المريد بحقائق الطريق لما بقى معنا مريد"، وحكمة الشيخ دفع الله هذه مأخوذة من قول الله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا﴾ - فاطر: 45. فالشيخ يؤخرهم لأجل هداية الله لهم. وقد روى فى الحديث النبوى الشريف: "روحوا القلوب ساعة فساعة"[7]. وفى الأثر: ".... كان النبى ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا"[8]. فمن عرف مراد الشيوخ فى تربيتهم مريديهم لعذرهم فى تغاضيهم عن هفوات التلاميذ؛ ومع ذلك فالأمر ليس مطلوقاً على أعنته، بل إذا ما انتهكت محارم الله تعالى فللشيخ غضبة لله يتحاشاها كل مريد له.

فشيوخ الصوفية قد استلهموا فى إرشادهم سماحة الدعوة الإسلامية ورفقها، قال رسول الله ﷺ: "إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه"[9]. والصوفية فى ذلك الإرشاد السمح إنما يتبعون سنة التدرج المرحلى

فى الإعلام الدعوى، هذه السنة التى كانت تيسيراً من الله تعالى كما رأيناها فى التدرج فى تحريم الخمر.

ثالثاً: إنكار كرامات الأولياء:

يكثر اللغط من جانب المنكرين فى شأن كرامات الأولياء والصالحين. ففى البدء نود أن نقرر أن الكرامة ليست مطلوبة لذاتها وليست مما يحبذ الشيخ وقوعها على يده، لأن مهمة الولى أن يدعو الناس لله، لا أن يدعوهم لنفسه. فمراد الشيخ الاستقامة، وهم يقولون: "الاستقامة خير من ألف كرامة". ولكن مَنْ حصلت له الاستقامة وتحقق بها نال الكرامة؛ قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾ - فصلت: 30.

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى كتابه (لطائف المنن): "أعلم أن الكرامات تنحصر فى طرفين: الطرف الأول الجواز، والثانى الوقوع. أما الجواز فلا خفاء أن ظهور الكرامة من الأولياء من الممكنات، لأنه إن لم يكن من الممكنات فإما أن يكون من الواجبات، وإما أن يكون من المستحيلات، - باطل أن يكون من المستحيلات - فإن المستحيل هو الذى لو قدر وجوده لزم منه محال عقلى، ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقلى، وباطل أن يكون جريان الكرامات على الأولياء وجوباً إذ الطائفة مجمعة على أنه قد يكون الولى - ولياً - وإن لم تخرق له العادة، فتعين أن يكون من الجائزات، وكل شئ كان من الجائزات

فلا يحيله العقل، وكل ما لا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه نقل فجائز أن يكرم الله تعالى به الأولياء"[10].

ومما يعد من أصول أنواع الكرامات ما جاء فى الحديث القدسى: "من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره إساءته"[11]. قال الشيخ محى الدين ابن عربى عن هذا الحديث: "من قال بالحلول فهو معلول، فإن القول بالحلول مرض لا يزول، ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه، ألا ترى قوله (كنت سمعه الذى يسمع به) فأثبت بإعادة الضمير إليك ليدلك عليك، وما قال بالاتحاد إلاّ أهل الإلحاد"[12].

أما كرامات الصحابة والأولياء فقد ثبتت بالتواتر. فقد كان أسيد ابن حضير ﷺ يصافح الملائكة فى شوارع المدينة، وكانت الملائكة تنزل لتسمع قراءته القرءان الكريم، حتى أن فرسه كانت تجول وتصيح من نزول الملائكة عليه عند قراءته القرءان الكريم[13].

فالكرامة أمر خارق للعادة، أمر لطيف، غير مألوف حدوثه، وتدق وتلطف أسبابه وملابساته.

واشتراكها فى هذه الصفات مع السحر جعل قوم فرعون يظنون سيدنا موسى عليه السلام ساحراً، وجعل كفار قريش يصفون القرءان الكريم بأنه سحر: ﴿فقال إن هذا إلاّ سحر يؤثر﴾ - المدثر: 24.

غير أن الفيصل بين الكرامة والسحر هو ما يدركه كل الناس عن مدى استقامة الشخص الذى جاءت على يده الكرامة، فإن كان الشخص تقياً كان ما حدث له كرامة، وإن كان الشخص كافراً كان ما حدث له خزى واستدراج وندامة؛ هذا بخلاف الفروقات التى يدركها الساحر المتخصص إدراكاً جعل سحرة فرعون يزعنون لسيدنا موسى عليه السلام ويخرون سجداً لله تعالى، لأن السحرة يعلمون أن السحر شأن كسبى يتعلم المرء قوانينه وطرقه، قال تعالى: ﴿يعلمون الناس السحر﴾ – البقرة: 102؛ بخلاف الكرامة التى هى شأن وهبى، فهى من منح وتكريم الله تعالى لعبده المستقيم على التقوى، فمن جهة صدورها من الله تعالى فهى وسيلة اصطفائية بحتة بمعنى أنها خارج تدبير العبد.

والكرامة تشكل لمن يشاهدها نوعاً من الغيبيات، فهى من قبيل الإيمان بالغيب والذى هو "تصديق أخبار هامة، يصعب تصورها أو تقصى حقيقتها بالوسائل المادية المتعارف عليها"[14]. فأكثر الغيبيات يتم معرفتها بالتصديق القلبى، لأن فهما مما لا يدخل فى باب الحدسيات، كقولك الملح أبيض، ولا العقليات كقولك أن الثلاثة أكثر من الواحد. "والتصديق القلبى – أى الذوق – فهو كالمشاهدة والأخذ باليد، ولا يوجد إلاّ فى طريق الصوفية، ولا سبيل إليه للعقلاء ببضاعة العقل"[15].

وإلاّ فقل لى كيف للعقل – وهو يقول بأن الشئ لا يوجد فى مكانين فى نفس الوقت – أن يستوعب دخول إنسان من عدة أبواب فى آن واحد ؟ فقد جاء فى صحيح مسلم: عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة يا عبد الله هذا خيرٌ فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان أهل الصيام دعى من باب الريان"، قال سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ: يا رسول الله، ما على أحد أن يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال رسول ﷺ: "نعم وأرجو أن تكون منهم"[16].

والكرامة فى حد ذاتها نوع من الإعلام الصوفى الذى يحمل صبغة الصمت والتلقائية معاً، فهى إعلان صامت وتلقائى لأن من تقع على يده لم يكن ليتطلع إلى حدوثها، وإن حدثت لا يهتم بإعلانها، بل ربما تحدث وهو لا يدرى بها، لعدم تشوفه إليها أو ربما يكون المقصود بها مَنْ يشاهدها.

رابعاً: السماع الصوفى:

لقد اختلف الناس فى موضوع السماع الصوفى، ونقصد بالسماع ما يترنم به الصوفية من مدائح وأشعار يصحبها ضرب على الطبل والطار. يعترض المعترضون بأن السماع نوع من الرقص والطرب. ولكنا نقول: ما كل طرب ممنوع. فقد تقدم الاستشهاد بسماع الرسول ﷺ لأشعار حسان بن ثابت ﷺ وغيره من الشعراء، وسماع السيدة عائشة رضى الله عنها لغناء الجوارى الحبشيات.

إن الشيخ أبا بكر الكتانى يعطينا تصنيفاً لمقامات الناس فى السماع: منها سماع العوام ويكون على متابعة الطبع والتلذذ بمجرد الصوت؛ وسماع المريدين وهو رغبة ورهبة؛ وسماع الأولياء وهو رؤية النعم والآلاء؛ وسماع العارفين وهو مشاهدة الحقيقة على الكشف والعيان. وقال أبو عثمان المغربى: "من ادعى السماع ولم يسمع من صوت الطيور وتصفيق الرياح وصرير الباب فهو مفتر مدع، فالعارف يسمع ألطف الإشارة ويكتفى بها عن العبارة"[17].

فالسماع عند القوم هو وارد حق يزعج القلوب لحضرة علام الغيوب. فكما يقولون من استمع بحق تحقق، ومن استمع إليه بنفس تزندق. والاستماع بحق يتمثل فى أن تسمع من نفسك على لسان غيرك. وهذا هو السماع الحقيقى الذى طربت له الأرواح فى الأزل حينما خوطبت بقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ - الأعراف: 172. وقال الشيخ الشبلى عن السماع: "السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة، فمن عرف الإشارة فى الكلام حل له استماع العبرة وإلاّ فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية"[18]، ولهذا قيل لا يصح السماع إلاّ لمن كان قلبه حياً ونفسه ميتة، وأما من كان قلبه ميتاً ونفسه حية تسعى فى ملذاتها فلا يحق له السماع.

والدليل على أن سماع القوم من داخلهم هذه الحادثة: روى أن اثنين من القوم سمعا من يصيح لأخيه قائلاً "يا سعتربرى" وهو اسم عجمى، فتواجدا من هذا السماع. وعندما سئلا فى ذلك قال أحدهما أنه سمع "أَسْمَعَ تَرَى بِرِّى"، وقال

الثانى أنه سمع: "الساعةَ ترى بِرِّى"[19]. أنظر كيف اختلف سماعهم باختلاف أحوالهم ومقاماتهم، فقيل أن الأول سالك، والثانى واصل.

وتحدث الشيخ العز بن عبد السلام عن وجد الصوفى وسماعه معلقاً على نفس العبارة التى ذكرها القشيرى وهى قول: (أَسْمَعَ تَرَى بِرِّى)، فقال: "ألا ترى أن وجده وحركته من حيث هو فيه من وقته ووجده لا من حيث قول القائل ولا قصده، فالمحترق بحب الله لا تمنعه الألفاظ الكثيفة فهم المعانى اللطيفة ولم يكن واقفاً مع صوت نغمة ولا مشاهدة صورة. فمن ظن أن السماع يرجع إلى دفء المعنى وطيب النغمة فهو بعيد من السماع وإنما السماع حقيقة ربانية ولطيفة روحانية تسرى من السميع للمستمع بلطائف التحف والأنوار فتمحق من القلب ما لم يكن وتبقى فيه من لم يزل، فهو سماع حق بحق، وأما الانزعاج الذى يلحق المتواجد فمن ضعف حاله عن تحمل الوارد وذلك لازدحام أنوار اللطائف فى دخول باب القلب فيلحقه دهش فيغيب بجوارحه ويستريح إلى الصعقة والصرخة والشهقة لغلبة وجده، وأكثر ما يكون ذلك لأهل البدايات، وأما أهل النهايات فالغالب عليهم السكون والثبوت لانشراح صدورهم واتساع سرائرهم للوارد عليهم، فهم فى سكونهم متحركون وفى ثبوتهم متقلقلون"[20].

ونختم الحديث عن السماع بما روى عن سيد أهل السماع المتحققين بنور الهداية المحمدية، وهو سيدنا على بن أبى طالب ﷺ، فقد روى عنه أنه تحدث عن معرفته بمضمون صوت الجرس، (قال لأصحابه: أتدرون ما يقول الجرس ؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول:

سبحان المولى حقاً حقا إن المولى صمد يبقى)[21]

نرى أن مشاكل الإعلام عند الصوفية منها ما هو وليد سوء الفهم من جانب منتقدى القوم. كيف لا، وعلم القوم لا يدرك إلاّ مذاقاً ومعايشةً عملية للتجربة الروحية؛ فالتصوف علم أعمال لا علم آمال، وعلم أحوال لا علم أقوال.

كما أن من هذه المشاكل ما هو ناجم من قصور الصوفى عن إيراد المعانى التى لا تسعها العبارة، قال شاعرهم[22]:

إذا أهل العبارة ساءلونا أجبناهم بأعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غموضاً تقصِّرُ عنه ترجمة العبارة
ونشهدُها وتُشْهِدُنا سروراً له فى كل جارحةٍ إثارة

فأحاسيس الصوفى وتجربته الداخلية تكون أكبر من لغة الحروف، أى يكون حاله أوسع من مقاله، ولهذا تضيق بالصوفى العبارة فيستخدم الإشارة مما يكدر أفهام بعض الناس الذين يحجبهم جدران العبارة عن رؤية ما بداخلها من إشارة.

هوامش الفصل الثانى: (مشاكل الإعلام الصوفى)

1- ابن علان (الشيخ شهاب الدين): شرح قصيدة ابن بنت الميلق، ص 13، والبيت للشاعر أبى عبد الله محمد بن بختيار البغدادى.

2- الوزير لسان الدين بن الخطيب (محمد بن عبد الله بن الفقيه الخطيب سعيد السلمانى الغرناطى) : روضة التعريف بالحب الشريف ، ص 432 .

3- الدارمى (الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن): سنن الدارمى، 20 كتاب الرقاق، 28 باب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج 2، ص 191، حديث رقم 2741.

4- الوزير لسان الدين بن الخطيب (محمد بن عبد الله بن الفقيه الخطيب سعيد السلمانى الغرناطى): روضة التعريف بالحب الشريف، ص .498

5- زيدان (د. يوسف محمد طه): عبد القادر الجيلانى باز الله الأشهب، ص 45.

6- مجلة أبحاث الإيمان، أ.د. طه جابر العلوانى، المقدمة فى إسلامية المعرفة، عدد 3، شعبان 1417هـ / ديسمبر 1996م، ص .65

7- السخاوى (الإمام الحافظ الناقد المؤرخ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن): المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، حرف الراء، ص 30، حديث رقم .530

8- البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، 3 كتاب العلم، 11 باب ما كان النبى يتخولهم بالموعظة والعلم كى لا ينفروا، ص 20، حديث رقم 68.

9- 1- مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى): صحيح مسلم (بشرح النووى)، 47 كتاب البر واصلة، 3 باب الرفق، ج 16، ص 147، حديث رقم 78(2594).

10- ابن مغيزيل (أبو الفضل عبد القار بن الحسين): الكواكب الزاهرة فى اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة، ص 102. وانظر: السكندرى (العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله): لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن، ص 39.

11- البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، ج 8، باب التواضع، ص 189، حديث رقم 89.

12- عاشور (سعيد هارون): كرامات الصحابة، ص 43.

13- ابن الأثير (الشيخ العلامة عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم بن عبد الواحد الشيبانى): أسد الغابة فى معرفة الصحابة، ج 1، ص 92. وانظر: عاشور (سعيد هارون): كرامات الصحابة، ص 82.

14- مكروم (د. هانى عبد الرحمن): التصور العقلى، الإيمان بالغيب، ص 17.

15- المهدى (السيد محمد عقيل بن على): دراسات فى الفلسفة الإسلامية، ص 133.

16- مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى): صحيح مسلم (بشرح النووى)، 12 كتاب الزكاة، 27 باب فضل من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر، ج 7، ص 115، حديث رقم 85 (1027). وانظر: الحموى (الإمام شهاب الدين أحمد): نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى بعد الإنتقال، ص 83.

17- البشير (الشيخ أحمد الطيب): كتاب الحكم، ص 233.

18- القشيرى (العلامة العارف بالله تعالى أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابورى): الرسالة القشيرية، الفصل الثانى، شرح المقامات أو مدارج أرباب السلوك، 49 السماع، ص 340.

19- نفس المصدر السابق، الفصل الثانى، شرح المقامات أو مدارج أرباب السلوك، 49 السماع، ص .346

20- عز الدين (سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم): كتاب زبد خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز، ص 76.

21- نفس المصدر السابق، ص 78.

22- الكلاباذى (أبو بكر محمد): التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 61.

الفصل الثالث: حلول وتوصيات

مما تقدم فى هذه الدراسة البسيطة ندرك أن مشاكل الإعلام إن هى إلاّ جزء من أمهات مشاكل العالم الإسلامى. ولكن الإسلام يحارب الروح الانهزامية عند المسلم ويحثه على أن لا يقف مكتوف الأيدى حيال المشاكل، بل على المسلم أن يسعى لحل المشاكل وتذليل الصعاب، فكما قال الرسول ﷺ: "تداوا فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء"[1]. فإن لكل داء دواء، ولكل مشكل حل. ونحن هنا نوجز بعض الحلول عسى أن نسهم فى تلطيف مشكلات الإعلام الإسلامى، فنقول:

1- إن التمسك بتعاليم الدين الإسلامى من توجيهات القرءان الكريم والسنة النبوية يكفل لنا خروجنا من جحر الضب الذى وقع فيه المسلمون باقتفائهم سنن الكفار الغربيين.

فالصوفية أشد تمسكاً بالسنة وآثار السلف الصالح، تمسكاً انعكس فى إصرارهم على قراءة وحفظ القرءان الكريم برواية أبى عمرو الدورى (كما نرى فى خلوات القرءان الكريم بالسودان) – لا لقدح فى الروايات الأخرى ولكن لأنها رواية الأسلاف؛ وفى دول إسلامية أخرى نجدهم يواظبون على قراءة القرءان الكريم بروايات أخرى، وذلك نسبةً لأنهم أيضاً يتمسكون بروايات أسلافهم. فانطلاقاً من نفس المنبر الصوفى كنا ننادى بضرورة تعريب العلوم الإنسانية لأنها هى مجال التشريع الإسلامى، فالقرءان الكريم والسنة النبوية الشريفة ينظمان

علاقة الإنسان مع ربه وعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، بل وعلاقة الإنسان مع كل أفراد الكون متمثلاً فى المحافظة على البيئة الكونية (عدم إهلاك الحرث والنسل). فللإسلام رأى قاطع فى كل هذه العلاقات، فلا ينبغى أخذ النظرية غير المسلمة فى العلوم الإنسانية. أما التقنية وعلوم الطبيعة والكونيات (فيزياء، كيمياء، أحياء) فلا بأس – إنْ تعذرت الترجمة إلى العربية – من أخذها من غير المسلمين ولو بلسانهم لأنه لا يوجد علم أحياء مسلم وعلم أحياء ملحد، فالجسم البشرى له نفس التركيب فى كل البشر بغض النظر عن دياناتهم (فقلب المسلم لا يختلف عن قلب الكافر فى نوع الشرايين والأوردة وطريقة ضخ الدم للجسم)، ولكننا لن نصل إلى مرحلة الإبداع فيها ما لم نتناولها باللغة القومية العربية. وحتى فى علوم التقانة هذه ينبغى التفريق بين الباطل والحق. فمثلاً تفسيرات ظهور الإنسان على الأرض بنظرية الارتقاء والنشوء لداروين لا يمكن قبولها إسلامياً لتعارضها مع النصوص القرءانية الواردة فى شأن خلق أبى البشر سيدنا آدم عليه السلام.

2– يمكن حل المعضلة المالية بتضافر جهود المسلمين وتكافلهم فيما بينهم. فلو أن رؤوس أموال الدول المنتجة للبترول والدول الغنية وجهت لصالح الإعلام الإسلامى لأصبحت كلمة الله هى العليا.

أما التعليم والذى هو الركيزة الأساسية فى تنمية الفرد والمجتمع فينبغى أن تواكب مناهجه التطور العلمى الحاصل فى العالم بجانب الأخذ بالمناهج التعليمية والتربوية التى تستند على الدين الاسلامى، كما ينبغى التركيز على تخريج علماء

ذوى معرفة رأسية عميقة، وليسوا موظفين أصحاب معرفة مسطحة همها لقمة العيش السريعة.

3– إن تسييس الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى سوف يخدم الدين الإسلامى إن كانت سياسة الدولة يسودها التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، أى إن كان التشريع فى العبادات والمعاملات والأخلاقيات يرجع إلى الدين الإسلامى فنعما ذلك فى مجال الإعلام وإلاّ فلا. إن فصل الدين عن الدولة (أى نظام العلمانية) أمر لا سبيل إليه فى دولة يدين أهلها بدين الإسلام. ففى دولة الإسلام تكون مسؤلية الإعلام هى نشر الدين وتوعية الأمة توعية ربانية، وليس الانسياق وراء آراء هى بعيدة كل البعد عن الدين، سواء كان مصدر هذه الآراء الحاكم أم المحكوم.

4– إن غياب المنهج المتكامل يبدو جلياً فى ترقيع الفرق الإسلامية دعوتها بشئ من الدين وشئ من الدنيا. فالفكر النظرى ينبغى أن يسنده التطبيق العملى، كما أن الأعمال ينبغى أن تستمد من النظرية الإسلامية لا غير. فبقدر الاجتهاد فى تنقيح المناط ينبغى الإخلاص فى إنزال الحكم الشرعى على كليات الأحداث وجزئياتها. فبغياب هذا الفكر وهذه المنهجية ينتج التخبط فى التنظير والأخطاء الفادحة فى التطبيق العملى. فينبغى التنسيق وتضافر جهود الدول المسلمة حتى تتوحد الرؤى والتصور الكامل لإعلام يخدم الأمة المسلمة ويجمع شتاتها. فكافة المسلمين متفقون على أصول الدين وأركانه.

وما اختلفوا إلاّ فى فرعيات لا تمس صميم الدين الإسلامى. فلا ينبغى أن يكون هذا الاختلاف مدعاة لتفرقة المسلمين وشتاتهم.

" كان الاختلاف – فى صدر الإسلام وفى عهد الفقهاء الأوائل – أمراً مشروعاً وذلك لتوفر أمرين فيه، الأول: أن لكل من المختلفين دليلاً يصح الاحتجاج به؛ الثانى: ألاّ يؤدى الأخذ بالمذهب المخالف إلى محال أو باطل ..... فالاختلاف (محمود) ما توافر فيه الشرطان المذكوران، وهو مظهر من مظاهر النظر العقلى والاجتهاد، وأسبابه منهجية موضوعية فى الغالب. أما الخلاف فهو الذى يفقد الشرطين أو أحدهما، وهو مظهر من مظاهر التشنج والهوى والعناد، وليس له من سبب يمت إلى الموضوعية"[2]. وقد فصل القول فى هذه المسألة الشيخ أحمد زروق فقال: "فما رجع لأصل واحد فاختلاف يكون حكم الله فى كل ما أداه إليه اجتهاده، وما رجع لأصلين يتبين بطلان أحدهما عند تحقيق النظر فخلاف"[3].

5– إن كان الغرب يعمل جاهداً على غزو الدول المسلمة بنقل أفكاره للمسلمين، فلماذا لا يعمل المسلمون على صد هذا الغزو بغزو مضاد من عندهم ؟ فليسعَ المسلمون إلى تحقيق الفتح الفكرى كما تمت لهم من قبل الفتوحات السياسية والجغرافية بتوغل جيوشهم إلى بلاد الفرنجة. فعلى المسلمين نقل الفكر الإسلامى مترجماً للغات الأوروبية وإرساله إليهم عبر وسائل الاتصال المختلفة ولا سيما الإنترنت الذى يدخل فى كل مكتب وبيت. فالاستفادة من الوسائل التقنية لتخزين المعلومات كالإنترنت وكالأقراص المرنة والأقراص المضغوطة – CD –

أو المدمجة وأشرطة الفيديو وأشرطة تسجيل الكاسيت يتيح للمسلمين بث المعلومة للغرب فى كل وقت وحين. كما أن هذه الوسائل تشكل خطاباً للغرب بلغته التى يتحدث بها، لا نقصد لغة الحروف والخطاب اللسانى العادى فحسب ولكنا نعنى أن هذه التقنية صارت لغة الغرب وجزءاً من لسانهم الذين يسيرون به أعمالهم التجارية والثقافية والاجتماعية، فالغرب يتعامل بهذه الوسائل على الدوام وباعتبارها لغته فى كل مناحى حياته.

فإن نقل الفكر الإسلامى الصافى إلى الغرب يساعد فى تعريف الغرب بالإسلام السمح الذى يحترم البشر ويشرِّع لإسعادهم فى الدارين، فهذا العرض السلمى للإسلام قمين باستئصال بذور الرهاب أو الخوف أو (الفوبيا من الإسلام **Islamo-phobia**) التى بدأت تنمو فى الغرب فى السنوات القليلة الماضية.

6- إن ضعف التخطيط الإعلامى سبب آخر من أسباب ضعف الإعلام الإسلامى. إن التخطيط يعنى رسم السياسات التى سوف تتبع مستقبلاً لتحقيق الأهداف المنشودة فى الخطة، أى فالتخطيط يفيد نظرة الإنسان للمستقبل وكل هذا من صميم تعاليم الدين الإسلامى الذى يدعو الإنسان للعمل للآخرة، فهدف الإسلام هو إعداد المرء وحثه للعمل الصالح من أجل الآخرة، قال تعالى : ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ - الإنشقاق: 6. فرسم الخطط والعمل للمستقبل أمر حثت عليه السنة النبوية، بل إن القرءان الكريم والسنة الشريفة بنيا على البشارة والنذارة المستقبلية، أى بشرا بالخير القادم

للمؤمن، وأنذرا العاصى بعذاب يأتيه. وتنبأ الرسول ﷺ نبوءات لا تحصى أشهرها ما ورد فى حديث سيدنا جبريل عليه السلام حينما سأل النبى ﷺ عن علامات الساعة فأجابه ﷺ: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون فى البنيان"[4]. كما حثت السنة النبوية المطهرة على التنمية المستدامة والعمل الدؤوب من أجل الأحفاد وجيل المستقبل ففى الحديث النبوى الشريف: "إنك إن تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس"[5]، كما قال النبى ﷺ: "إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك أجر"[6].

فالفراسة والعمل للمستقبل نهج إسلامى أصيل. وإسلامية النهج هى بالضرورة: "المعاصرة والتحديث الدائب المستمر ولكن باتجاه إسلامى وغاية إسلامية وقيم إسلامية وهداية ربانية"[7]. فالإسلامية هى التزام بالثوابت واجتهاد فى المتغيرات.

فالتخطيط الإعلامى يضمن مراجعة الأهداف ومتابعة مدى تحقيقها والعمل على تلافى القصور والمعوقات المستجدة. فالأمة المسلمة أمة ذات فراسة وبصيرة ثاقبة، فالمؤمن ناقد بصير كما جاء فى الحديث النبوى الشريف: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"[8]. ولذلك فالأمة المسلمة هى أقدر الأمم على قراءة المستقبل والتخطيط له بقدر ما سارت على النهج الإيمانى والنور الربانى الذى يضمن لها هذه الفراسة.

إن للتصوف وسائل إعلام فريدة ، وأساليب دعائية أصيلة. غير أن هذا التفرد للإعلام الصوفى لا ينبغى أن ينزع به نحو التقوقع والانعزال فى النهج الإعلامى. فعلى الصوفية أن يخططوا لإعلامهم كى يستغلوا كل وسائل الإعلام العصرية بصورة أكبر حتى يتسنى لهم مسايرة قطار الحركة الاجتماعية الذى يقود هذه الوسائل الإعلامية الحديثة ونعنى بها وسائل الاتصالات الرقمية، فينبغى تفعيل الوسائل الإلكترونية لاكتساب المعرفة وبثها بيسر فى زمن يتنادى فيه بإنشاء الحكومة الإلكترونية بمعنى تجميع كافة الأنشطة والخدمات المعلوماتية فى موقع الحكومة على شبكة الإنترنت لتحقيق الاتصال الدائم بالجمهور مع توفير كافة الاحتياجات المعلوماتية والاستعلامية والخدمية للمواطن.

كما ينبغى على الصوفية أن يلجوا ميادين البحث العلمى الصوفى والإعلامى معاً: "حيث أن البحث العلمى هو جسر الوصول إلى تأصيل التنمية والنهضة لاستمرار التقدم فى أمة تريد أن تحافظ على كيانها المعنوى قبل المادى"[9].

هوامش الفصل الثالث: (حلول وتوصيات)

1- السخاوى (الإمام الحافظ الناقد المؤرخ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن): المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، حرف اللام، ص 155، حديث رقم 324.

2- العلوانى (طه جابر): أدب الاختلاف فى الإسلام، الفصل الرابع، أسباب الاختلاف وتطوره، ص 104.

3- زروق (الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى): قواعد التصوف، ص 18.

4- سبق تخريجه فى الباب الثانى، الفصل الأول.

5- ابن حجر العسقلانى (الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن على): الكافى الشافِ فى تخريج أحاديث الكشاف (مطبوع فى ذيل الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل للزمخشرى)، ج 4، ص 39.

6- العينى (بدر الدين محمود): عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى، باب الحرث والزراعة.

7- مجلة إسلامية المعرفة، المبادئ العامة – خطة العمل، ص 166.

8- الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى، كتاب تفسير القرءان، 15 باب ومن سورة الحجر، ج 5، ص 298، حديث رقم 3140.

9- مجلة أبحاث الإيمان، العدد 12، ص 109.

الخـاتمة

إن الإعلام فى حد ذاته واسع الجوانب فإذا اقترن بالإسلام امتدت حدوده وتوسعت رقاعه؛ فإذا ما أخذ صبغة التصوف اتسعت آفاقه فعاد إعلاماً شعبياً للسواد الأعظم من المسلمين وسالكى الطريق الصوفى الذين لا يحتاجون لتفسير وبيان للكلمة الصوفية الواضحة الصافية.

كما أن الإعلام الصوفى تفاقمت معانيه ودقت عباراته وبعدت مراميه حتى عاد إعلاماً صفوياً لأرباب السلوك وخاصة الخاصة الذين سبروا أغوار الخطاب الرمزى الصوفى واكتنهوا عميق أسراره.

فالتصوف بناء متكامل، ونسيج واضح المعالم وضوح الشريعة الإسلامية، وعميق المعانى عمق دقائق الإيمان والإحسان، فمن تمسك به عرف ربه ونفسه وغيرهما واستحق لقب "العارف". وما الإعلام إلاّ عرفان ومعرفة وتعريف للآخرين.

لقد نجح الإعلام الصوفى فى جذب المسلمين – ولا سيما الشباب – إلى ربقة التصوف وذلك لأنه إعلام تغلب عليه الدعوة بلسان الحال أكثر من المقال. فما أُثِرَ عن الصوفية المناظرات وأحاديث المنتديات إلاّ لماماً. والدعوة بالسلوك والقدوة أبلغ من الدعوة بالحديث والمشافهة ، فالمنابر مكتظة بالوعاظ، ولكن ما يستهوى الشباب هو القدوة الحسنة من آبائهم وذلك بحكم نزعة الشباب إلى التقليد. ثم إن انتهاج التصوف الدعوة بالحسنى يجد القبول لدى الشباب الذى بطبعه يتمرد على أسلوب القهر والتسلط.

كما أن اتجاه التصوف لاستخدام التقنية الحديثة كنظام الحاسوب والإنترنت وما إلى ذلك من وسائل الاتصال الرقمية جدد روح التصوف وزاد من استهواء الشباب الذى يعجبه الجديد ومواكبة مستحدثات الحضارة الإنسانية، وبهذا ضمن التصوف زيادة عناصره وكوادره من أوساط الشباب. وهكذا جمع الإعلام الصوفى بين الأصالة والحداثة؛ الأصالة بمعنى استخدام التراث بما يحويه من تأصيل المعرفة الإسلامية فى ينبوعها الصافى الذى كانت عليه فى بدايات عهد الرسالة وصدر الدولة المسلمة. والحداثة بمعنى مواكبة الحديث والجديد من أساليبٍ وتطورٍ فى المفاهيم الإعلامية؛ وهذا هو الذى استقطب كلا الفريقين: الشيوخ من طالبى الأصالة، والشباب من طالبى الحداثة.

وفى الآونة الأخيرة ولج الصوفية مجال الصحافة والمجلات، فنجد الصحف والمجلات المتخصصة فى التصوف والتى تصدر من عدة مؤسسات وبيوتات صوفية، نذكر منها فى السودان – على سبيل المثال – مجلة القوم الصادرة من المجلس القومى للذكر والذاكرين، وصحيفة المائدة التى يصدرها الشيخ محمد الخير إبراهيم[1]. ولا يغيب عن بالنا مطبوعات السادة المكاشفية بالسودان، ولا مؤلفات مشيخة الطريقة السمانية بطابت – السودان. فهذه الصحف والمجلات الصوفية قد أتاحت للشباب أن يبرزوا مواهبهم ومقدراتهم المتنوعة فى مجال الكتابة الصحفية.

إن تجديد الدين الإسلامى وإنعاش الروح فى أوصاله أمر وعدت به السنة النبوية الغراء، قال النبى ﷺ: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من

يجدد لها دينها"[2]. يقول السيد محمد بن علوى: "لقد علم القرءان المسلمين أن يجتهدوا وأن يستنبطوا وأن يسترشدوا بعلمائهم ومفكريهم. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ – النساء: 83"[3]. فهذه دعوة صريحة للاجتهاد، منح الإسلام فيها المجتهد المصيب أجرين، والمجتهد المخطئ أجراً واحداً. "والمراد بالاجتهاد والتجديد الوارد فى نصوص السنَّة هو بيان ما اندرس من معالم السنن ونشرها وحمل الناس على العمل بها وقمع البدع وأهلها والعودة بالمسلمين على ما كان عليه الرعيل الأول من المسلمين"[4]. قلنا إن التجديد لا يعنى الخروج عن روح الدين الإسلامى بإدخال الأفكار والمعتقدات الغريبة عن الإسلام. إننا لا نعرف أفكاراً تسمى شيوعية الإسلام، ولا تلك التى تدعى اشتراكية الإسلام، ولا الرأسمالية فى الإسلام. فللإسلام خصائصه ومميزاته التى تحدد معالمه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فليس الإسلام فى حاجة لأن يستدين أفكاراً ومصطلحات غريبة عنه، فلم يطلق علينا المولى عز وجل تسمية خلاف كلمة المسلمين، قال تعالى: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ - الحج: 78. يقول الأستاذ أنور الجندى: "إن للمسلمين قاعدة أساسية هى جوهر الأصالة، تلك هى ربانية الوجهة فى بناء الإنسان والأسرة والجماعة والمجتمع. إننا نعرف أن الربط بين الأصالة والمعاصرة ربط بين علاقتين هى علاقة الزمن وعلاقة التاريخ، فالمسلمون يعيشون بمفهومهم الإسلامى الذى لا يضحى بالقيم ولا بالمنابع ولا بالأسس التى قامت عليها عقيدتهم وكتابهم، وهم قادرون أن يعيشوا العصر على

أساس الالتزام بالأصالة، ولذلك هم يؤمنون بالمعاصرة فى إطار الأصالة"[5]. إن تمسك المسلمين بأصالتهم الإسلامية أمر بات أكثر ضرورة فى زمن يُنادى فيه بالعولمة، وهى ترجمة عربية للكلمة الإنكليزية **(globalization)** التى ظهرت مع بداية الألفية الثالثة فى أمريكا وهى تعنى جعل الشئ على مستوى عالمى مما يهدد بأن "يلغى القومية على الأصعدة السياسية، الثقافية والاقتصادية"[6]. وهذا يعرف بالنظام العالمى الجديد الذى تود الولايات المتحدة الأمريكية فرضه على العالم – ولا سيما العالم الثالث – بعد أن صارت أمريكا هى القطب الأوحد بغياب المعسكر الاشتراكى.

فالعولمة تشمل كل نواحى النشاط الإنسانى. فهى فى الاقتصاد تعنى اندماج أسواق العالم فى حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة ضمن إطار من الرأسمالية وحرية الأسواق.

بينما يرى السياسيون أن العولمة ترتكز على مفهوم الأحادية، أى أرض بلا حدود جغرافية.

وتستند العولمة الثقافية إلى مفهوم الشمولية، أى ثقافة بلا حدود[7].

والإعلام يدخل ضمن إطار العولمة الثقافية بالمعنى الواسع للثقافة الذى يشمل كل ما يكتب ويقال ويرى من الاتصالات.

ولكنا نقول إن العولمة الحقة ينبغى أن تكون للإسلام، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ - سبأ: 28. فعولمة الإسلام تتمثل

فى توحيد كافة الناس تجاه عبادة الله الواحد الأحد، وفى جعل المسلمين أمةً إيمانية واحدة ، قال تعالى:

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ – الأنبياء: 92. وحتى هذه الوحدة الإسلامية لا تلغى فوارق الثقافة والعادات عند الشعوب. فلا ينبغى مسخ شئ جعله الله حقيقة اجتماعية وفطرة كونية، قال الله تعالى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل﴾ – الحجرات: 13. فالتعارف فى الاختلاف والتنوع، لا فى الدمج والقولبة فى قالب واحد. فالإسلام يحافظ على فردية الشعوب وخصائص الأمم مما لا يتعارض مع تعاليم الإسلام، وليس أدل على ذلك من اختلاف الفقه الإسلامى وتوسعه فى الأمصار الإسلامية المختلفة. فعالمية الدين الإسلامى جعلت الإسلام وعلومه تزدهر على أيدى العرب وغير العرب. ندرك هذه الحقيقة باستقراء أسماء علماء الإسلام واللغة العربية، حيث نجد أن كثيراً من هؤلاء العلماء من غير العرب.

والتصوف من الإسلام وبه تم حفظ الإسلام والإيمان وترقية المجتمع إلى مقام الإحسان، وبه حصل تجديد الدين فى عهد غرق فيه المجتمع المسلم فى اللهو والمجون واللهث خلف مباهج الحياة الزائفة. ففى السودان – على سبيل المثال – لم تكن ثمة حدود فاصلة بين حركة التصوف والحركة العلمية الدينية، وذلك لأن أكثر العلماء كانوا علماء ومتصوفة فى آن واحد، مما جعل مراكز الجماعات الصوفية تؤدى دوراً رائداً فى نشر الدعوة إلى الإسلام ونشر العلوم الدينية والعربية

عن طريق إنشاء مراكزهم العلمية الأصلية المتمثلة فى المساجد والزوايا والخلوات (الخلاوى).

ثم يجئ الإعلام الصوفى بوسائله المبتكرة ليشكل إضافةً حقيقية للإعلام الإسلامى مادة وأسلوباً. وهو إعلام سداه البساطة ولحمته التلقائية – كما ذكرنا سابقاً. ونعنى بساطة الدرويش الذى يرتدى مرقعته ويتشح بمسبحته على السجية ودون أن يعبأ فى ما يقول أو يفعل بالمنهج المنظم للإعلان . . ونعنى تلقائية العارف الذى شغلته معرفته وأذهلته أنوار الحق فلم يعد يصرف وقته فى تزويق حجته وتلوين عبارته. وبهذه التلقائية يكون الصوفية قد استلهموا بساطة الدعوة الإسلامية ووضوحها شكلاً ومضموناً، فلم يطلب الإسلام من الناس سوى قول: "لا إله إلاّ الله"، ولم يكلفهم فى الدين فوق طاقتهم، قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها﴾ - البقرة: 286؛ وقال تعالى: ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾ - الحج: 78.

فالإعلام الصوفى لا هو بإعلان التسويق التجارى، ولا هو بدعاية الاستقطاب السياسى. إنه بعيداً عن هذا وذاك. بل هو إعلام متفرد، لا يملك سامعه ورائيه سوى أن يصفه بأنه إعلام صوفى.

إن كان الصوفية قد استخدموا وسائل الإعلام المألوفة والمشهورة فى المجتمع، ثم ابتكروا وسائلهم التى أثرت الساحة الإعلامية، ورسخ إعلامهم. فسوف يزداد إعلامهم رسوخاً إذا ولجوا حقل البحوث التطبيقية والميدانية

لاستكناه اتجاهات الجماهير ومدى تفاعل المجتمع مع أنماط الإرشاد الصوفى لكى يحققوا المزيد من الانتشار الإعلامى والدعوى.

وأخيراً أقول إننى فى هذا المبحث المتواضع قصدت مجرد الإشارة إلى الإعلام فى ميدان التصوف. ورغم اعترافى بأننى أتناول بقلمى المتواضع علماً بعيد الأعماق، شفيف الأذواق وهو علم التصوف وإعلامه، فأنا فى هذا الكتاب لم أتتبع إلاّ ظواهر التصوف التى تبدو للعيان. ولا أنزه نظرتى هذه عن أن يكون فيها التقصير عن المطلوب، لأن التصوف – فوق هذا وذاك – قائم على تبديل بواطن الصفات والمواقف، لا تبدل ظواهر العلم والمعارف.

إلاّ أننى أكتب عن رجال التصوف وهم أهل سماحة يعذرون ذلتى وتقصيرى فى الحديث عنهم. كما أن عزائى أننى أدلى بدلوى على سبيل التبرك بذكر الله وأهل الله وخاصته.

إذاً فطرافة الموضوع حفذتنى للكتابة عنه. وساداتى الصوفية لا يحبون الحديث عن أنفسهم. فقصدت أن أكون لسانهم عسى أن يجعل الله لى لسان صدق فيهم.

والحمد لله الذى بتوفيقه يدلنا على إحسانه ومنته علينا، وبتقصيرنا يدلنا على قدرنا وعجزنا، فهو وحده العليم القادر.

ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو اخطأنا.

وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد المبعوث بالكلم الطيب والإعلام النقى، وعلى آله وصحبه وكل ولىٍّ تَقىٍّ.

هوامش الخاتمة

1- الشيخ محمد الخير إبراهيم من تلاميذ الشيخ دفع الله الصائم ديمه، وله مسيد فى الفتيحاب – بأمدرمان.

2- أبو داود (الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى): سنن أبى داود، 3 كتاب الملاحم، 1 باب ما ذكر فى قرن المئة، ص 647، حديث رقم .4291

3- الطحان (محمود أحمد): مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين، ص 4.

4- المالكى (السيد محمد بن علوى): مفهوم التطور والتجديد فى الشريعة الإسلامية، ص 16.

5- الجندى (الأستاذ أنور): المعاصرة فى إطار الأصالة، ص 5، .6

6- الصائغ (دكتور فائز): الإعلام ومرجل العولمة، ص 133-134.

7- عثمان (دكتور سعيد محمد): العولمة السياسية بين الفكرين الإسلامى والغربى من المنظور التاريخى، ص 32.

المراجـع

أولاً: القرءان الكريم والحديث الشريف

1- القرءان الكريم.

2- البخارى، (الإمام أبوعبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.

3- مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى): صحيح مسلم، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، 1412هـ- 199م.

4- ابن ماجة (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى): سنن ابن ماجة، دار الكتب العلمية، بيروت.

5- الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربى، بيروت، طبعة 1415هـ - 1995م.

6- أبو داود (الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى): سنن أبى داود، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م.

7- النسائى (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب): سنن النسائى، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1421هـ - 2001م.

8- ابن حنبل (الإمام أحمد): مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.

9- الدارمى (الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن) سنن الدارمى: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م.
10- الحاكم (الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى): المستدرك على الصحيحين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.
11- الهيثمى (الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.
12- العراقى (الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبى بكر): المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار "مطبوع على هامش إحياء علوم الدين للغزالى"، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ - 1980م.
13- السخاوى (الإمام الحافظ الناقد المؤرخ شمس الدين أبو الخير محمد ابن عبد الرحمن): المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، مطبعة المدنى، القاهرة، الطبعة الثانية 1412هـ - 1991م.

ثانياً : المؤلفات العامة

1- ابن الأثير (الشيخ العلامة عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى): أسد الغابة فى معرفة الصحابة، دار إحياء التراث، بيروت.

2- ابن الجوزى (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على): صفة الصفوة، دار الفكر، بيروت، طبعة 1412هـ - 1992م.

3- ابن حجر العسقلانى (الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن على): الكافى الشافِ فى تخريج أحاديث الكشاف "مطبوع على ذيل حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل للزمخشرى".

4- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت.

5- ابن عجيبة الحسنى (أحمد بن محمد): إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عطاء الله السكندرى، دار الفكر، بيروت.

6- ابن عربى (أبو عبد الله محى الدين محمد بن على بن محمد الحاتمى الطائى): الوصايا، مطبعة كرم، دمشق، 1958م.

7- ابن علان (الشيخ أحمد): شرح الشيخ أحمد بن علان على قصيدة أبى مدين، مطبعة مصطفى بابى الحلبى، القاهرة، محرم 1349هـ.

8- ابن مغيزيل (أبو الفضل عبد القار بن الحسين): الكواكب الزاهرة فى اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة ﷺ، دار جوامع الكلم، القاهرة، طبعة 1420 هـ - 1999 م.

9- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك الحميرى): السيرة النبوية، دار القلم، بيروت.

10- أبو نعيم الأصفهانى (الإمام الحافظ أحمد بن عبد الله): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1409 هـ - 1988 م.

11- البشير (الشيخ أحمد الطيب): كتاب الحكم المسمى بالنفس الرحمانى فى الطور الإنسانى وشرحه المسمى بالجوهر الفريد فى علم الوحدة والتوحيد، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1389 هـ / 1969 م.

12- البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله): الفرق بين الفرق، دار الجيل، بيروت، 1408هـ - 1987م.

13- التجانى (السيد محمد بن السيد المختار الشنقيطى): مولد التجانى المسمى عنوان مطالع الجمال فى مولد إنسان الكمال، مكتبة السيد مضوى، ود مدنى – السودان، الطبعة الرابعة، صفر سنة 1389 هـ / أبريل سنة 1969 م.

14- الجندى (الأستاذ أنور): المعاصرة فى إطار الأصالة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1407 هـ / 1987 م.

15- الجيلانى (أبو صالح سيدى الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله ابن يحى الزاهد): الفتح الربانى والفيض الرحمانى، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.

16- الحسن (تاج السر عثمان): لمحات من تاريخ سلطنة الفونج الاجتماعى (1504 – 1823م)، دار عزة للنشر والوزيع، الخرطوم، 2004م.

17- الحفيان (الشيخ عبد المحمود بن الشيخ الجيلى بن الشيخ عبد المحمود ابن الشيخ نور الدائم): الوصية، مطبعة التمدن، الخرطوم، الطبعة الأولى، أبريل 1974م.

18- الحموى (الإمام شهاب الدين أحمد): نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى بعد الانتقال، دار جوامع الكلم، القاهرة، طبعة 2003 م.

19- الزرقانى (محمد بن عبد الباقى بن يوسف بن أحمد بن علوان المصرى): شرح الإمام العارف بالله تعالى الزرقانى على موطأ الإمام مالك، دار المعرفة، بيروت، طبعة 1398هـ - 1978م.

20- الزرقانى (محمد بن عبد الباقى بن يوسف بن أحمد بن علوان المصرى): شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلانى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م.

21- السائح (الشيخ عبد المحمود الشيخ الزاكى): مولد خير الوجود المسمى بفتح الودود، مكتبة الجامع الكبير، الخرطوم، 1403 هـ.

22- السكندرى (العارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله): لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن، مكتبة القاهرة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1425 هـ - 2004 م.

23- الشافعى (الدكتور حسن محمود): المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411 هـ - 1991 م.

24- الشرنوبى (أحمد عرب): تائية السلوك إلى ملك الملوك، شرح عبد المجيد الشرنوبى، مكتبة القاهرة، القاهرة، 1400هـ - 1980م.

25- الصائغ (الدكتور فائز): الإعلام ومرجل العولمة، الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2001م.

26- الصائم ديمه (الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله): النجوم الزاهرة فى جواز الاحتفال بمولد سيد الدنيا والآخرة ﷺ، الطبعة الأولى، القاهرة، 1425هـ - 2004م.

27- الطحان (محمود أحمد): مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، دار التراث، الكويت، الطبعة الأولى، 1984م.

28- العلوانى (طه جابر): أدب الاختلاف فى الاسلام، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، هيرندن – فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الخامسة، 1413هـ - 1992م.

29- العينى (بدر الدين محمود): عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى، دار الفكر، بيروت.

30- الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
31- القشيرى (العلامة العارف بالله تعالى أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابورى): الرسالة القشيرية فى علم التصوف، تحقيق معروف زريق و على عبد الحميد بلطه جى، دار الجيل، بيروت.
32- الكلاباذى (أبو بكر محمد): التعرف لمذهب أهل التصوف، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
33- المالكى (السيد محمد بن علوى) : مفهوم التطور والتجديد فى الشريعة الإسلامية، مكتبة الملك فهد، المدينة المنورة، الطبعة العاشرة، 1419 هـ.
34- المجذوب (الشيخ محمد مجذوب بن قمر الدين المجذوب): مجموعة المجذوب، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابى الحلبى، الطبعة الثانية.
35- المطعنى (الدكتور عبد العظيم إبراهيم): الهمزية عرض وشرح وتحليل، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م.
36- المهدى (السيد محمد عقيل بن على): دراسات فى الفلسفة الإسلامية، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1993 م.
37- النابلسى (الشيخ عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى): ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، دار الجيل، بيروت.

38- الوزير لسان الدين بن الخطيب (محمد بن عبد الله بن الفقيه الخطيب سعيد السلماني الغرناطي): روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر، بيروت.

39- إمام (الدكتور إبراهيم): الإعلام في الإسلام، المرحلة الشفهية.

40- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، طبعة 1410هـ - 1990م.

41- حسين (الدكتور طه) وآخرون: التوجيه الأدبي، دار المعارف، القاهرة، طبعة 1981 م.

42- رشتي (دكتورة جيهان أحمد): الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، 1978م.

43- زروق (الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى): قواعد التصوف، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، 1968 م.

44- زيدان (الدكتور يوسف محمد طه): عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب، دار الجيل، بيروت.

45- سليمان (محمود كرم): التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، دار الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، 1409هـ - 1988م.

46- شرف (الدكتور محمد جلال): التصوف الإسلامي ومدارسه ونظرياته ، دار العلوم العربية، بيروت.

47- طلعت (الدكتورة شاهيناز محمد): وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى 1980م.

48- عاشور (سعيد هارون): كرامات الصحابة رضوان الله عليهم، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1999 م.

49- عبد الحليم (الدكتور محى الدين): الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية، مطبعة المدنى، القاهرة، الطبعة الثانية 1404هـ - 1984م.

50- عتمان (دكتور سعيد محمد): العولمة السياسية بين الفكرين الإسلامى والغربى من المنظور التاريخى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007 م.

51- عثمان (الدكتور عثمان جمال الدين): دراسات فى كتاب الطبقات، مؤسسة الصالحانى، دمشق، الطبعة الأولى 2002م.

52- عز الدين (سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم): كتاب زبد خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة، طبعة 1995 م.

53- على (جمال مصطفى): القباب والأضرحة فى السودان، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية 2005م، مطبعة التمدن، الخرطوم، 1425هـ - 2004م.

54- فضل الله (الدكتور نصر الدين سليمان على): الوظيفة الاجتماعية لحلقات الذكر الصوفى – حلقة الشيخ حمد النيل بأم درمان "نموذج"، منشورات

الخرطوم عاصمة الثقافة العربية 2005، مطبعة إيمان، الخرطوم، الطبعة الأولى، 2004م.

55- قريب الله (البروفسور الشيخ حسن الشيخ الفاتح الشيخ): دور الصوفية فى ميدان الإعلام، مؤسسة أروقة للثقافة والعلوم، الخرطوم، الطبعة الأولى، 2003م .

56- مكروم (الدكتور هانى عبد الرحمن): التصور العقلى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م.

57- نور الدايم (الشيخ عبد المحمود الشيخ): شرب الكأس (ديوان شعر)، المركز الطباعى، الخرطوم، الطبعة الثالثة، 1410هـ - 1990م.

58- نور الدايم (الشيخ عبد المحمود الشيخ): رياض الخيرات فى مولد سيد السادات، مطبعة دينا الحديثة، الخرطوم.

59- ود الكبيدة (عبد الرحمن محمد عبد الماجد): رحيق اللارنج فى شرح البرزنجى، مطبعة سولو، الخرطوم، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م.

60- وهبة (مجدى) وآخرون: معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ، 1984م.

61- ترجمة ود الكبيدة عن:

Khan (Masood Ali) : An Introduction to Sufism،Origin،Philosophy and Development ، p26

ثالثاً: الدوريات والمخطوطات
وأشرطة الكاسيت والإنترنت

1- كتاب الأمة: عبدالحليم (أ. د. محى الدين): إشكاليات العمل الإعلامى بين الثوابت والمعطيات العصرية، العدد 64، قطر، ربيع الأول 1419 هـ.

2- مجلة أبحاث الإيمان، العدد 12، الخرطوم، جمادى الأولى 1421هـ - أغسطس 2000 م. والعدد 3، شعبان، 1417 هـ - ديسمبر، 1996م.

3- مجلة إسلامية المعرفة: المبادئ العامة – خطة العمل – الإنجازات، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، واشنطون، رجب 1406 هـ - مارس 1986م.

4- مجلة الحياة العلمية: تصدر عن هيئة رعاية الإبداع العلمى - الخرطوم، العدد 11، مايو 2006 م.

5- مخطوط ديوان الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله الصائم ديمه.

6- تسجيل صوتى على شريط الكاسيت لبعض مدائح وقصائد الشيخ أحمد ابن الشيخ دفع الله الصائم ديمه.

7- **www.alsaim .net** خلاوى تحفيظ القرءان الكريم، نهج الخلوة.

مسرد المحتويات

الآية والحديث الشريف 5

الإهداء 6

المقدمة 7

الباب الأول : الإعلام فى الإسلام

الفصل الأول : تعريف الإعلام 12

الفصل الثانى مبادئ الإعلام فى الإسلام 17

الفصل الثالث : أدوات الإعلام عند المسلمين 26

الباب الثانى : الصوفية والإعلام

الفصل الأول : تعريف التصوف 35

الفصل الثانى : إهتمام الصوفية بالإعلام 38

الباب الثالث : أدوات الإعلام عند الصوفية

الفصل الأول : الوسائل الإعلامية المألوفة 42

الفصل الثانى : وسائل صوفية مبتكرة 57

الباب الرابع : المشاكل والحلول

الفصل الأول : مشاكل الإعلام الإسلامى 76

الفصل الثانى : مشاكل الإعلام الصوفى 83

الفصل الثالث : حلول وتوصيات 99

الخاتمة 107

المراجع 115

مسرد المحتويات 126

رقم الإيداع 257 / 2007

الترقيم الدولى
ردمك: 978-99942-858-7-7 ISBN

الطبعة الأولى
رمضان 1428هـ أكتوبر 2007م
مطبعة حصاد – الخرطوم

قباب

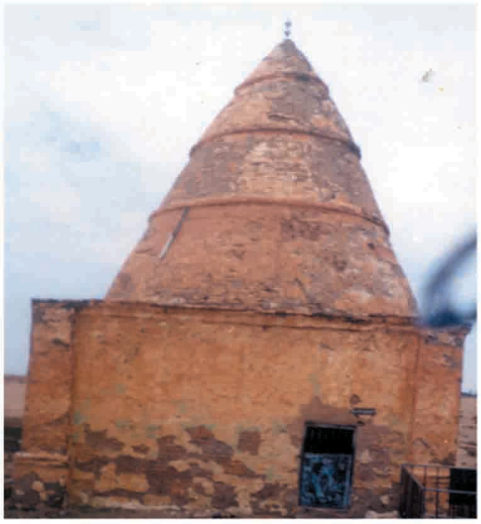

الكاتب فى سطور :

الإسم : عبد الرحمن محمد عبد الماجد

اللقب : ود الكبيدة

الميلاد : طيبة الشيخ القرشى ود الزين [غرب الحصاحيصا] ١٩٥٢م

النشأة : ود الخبير [شرق رفاعة / البطانة]

التعليم :
- بكالريوس إدارة الأعمال ـ كلية الإقتصاد ـ جامعة الخرطوم ١٩٧٨
- دبلوم تدريس اللغة الإنجليزية معهد تدريب المعلمين ـ أمدرمان ١٩٨٢

الحياة العملية :
- عمل معلماً بالمرحلة الإبتدائية بجبال الإنقسنا (جنوب النيل الأزرق) ١٩٧٣.
- عمل معلماً بالمرحلة الثانوية منذ ١٩٧٨ وحتى عام ٢٠٠٥ ثم تقاعد إختيارياً عن الخدمة المدنية.
- يقوم حالياً بالإشراف على مسجد وخلوة الشيخ دفع الله الصائم ديمه بالخرطوم ـ السلمة .

مؤلفاته :
- رحيق اللارنج فى شرح البرزنجى
- الدر المنظوم فى مدح الرسول ﷺ والقوم

وتحت الطبع :
- قطب الشريعة والحقيقة الشيخ دفع الله الصائم ديمه
- إعجاز القرءان العزيز للغة الإنجليز
- النظم الفريد فى علم التوحيد
- منهل الخواص من سورة الإخلاص

ردمك : ISBN 978-99942-858-7-7